

نموذج تشخيصي وإطار بحثي مقترح لدراسة ظاهرة التكفير باعتبارها مهدداً للأمن الفكري

بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري

«المفاهيم والتحديات»

في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ هـ

كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات

الأمن الفكري بجامعة الملك سعود

د. عبدالله البريدي

أستاذ السلوك التنظيمي المشارك - جامعة القصيم

ملخص: تجهد هذه الدراسة لأن تتصف بقدر من الأصالة النظرية عبر تقديم نموذج تشخيصي مبدئي لظاهرة التكفير باعتبارها مهتداً للأمن الفكري في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، كما تسعى إلى تحقيق جانب من جوانب الأصالة التطبيقية من خلال اقتراح إطار بحثي لدراسة تلك الظاهرة وما يرتبط بها من العوامل والظواهر الأخرى، ويقوم الإطار البحثي على البحث الكيفي (النوعي) والبحث الكمي، على نحو يُعين على تنفيذ دراسات تعمق فهمنا للظاهرة واستكشاف أبعادها وقياس متغيراتها، وتشجع تنفيذ الأبحاث متداخلة التخصصات لاسيما فيما بين المتخصصين في العلوم الشرعية ونظرائهم في العلوم الاجتماعية، بما ينعكس إيجاباً على حركة أسلمة المعرفة وتوطين العلوم الاجتماعية في عالمنا العربي والإسلامي، كما تسعى الدراسة إلى الإسهام في أدوات استكشاف كيفي وقياس كمي للظاهرة. وفي سبيل تحقيق ذلك عمدت الدراسة إلى استعراض الأدبيات العلمية بشكل تحليلي نقدي، كما بلورت الدراسة نموذجاً تشخيصياً للظاهرة يتضمن أربعة أنماط للتكفير، ينبثق الأول من فهم صحيح للضوابط الشرعية في التكفير (الحالة السوية)، أما الأنماط الثلاثة فتنبثق من فهم خاطئ لتلك الضوابط أو فهم صحيح لأفكار مغلوطة أو كليهما وهي: التكفير الخامل - التكفير الفاعل - التكفير الناقل، بجانب التعريف بالأطر المنهجية للبحث الكيفي والبحث الكمي يشتمل على التعريف بهما ومزاياهما والحالات التي يفضل فيها كل نوع بحثي والطرق البحثية الملائمة والفعالة لدراسة ظاهرة التكفير، كما قدمت الدراسة أدوات مبدئية للاستكشاف الكيفي تتمثل في أسلوب المقابلة بالتطبيق على إحدى طرق البحث الكيفي (البحث الظاهراتي)، واستعرضت الدراسة أهم المؤشرات الإحصائية الخاصة بالدراسة الاستطلاعية ($n=73$) التي استهدفت الاختبار والتحقق من الثبات والصدق/الصحة للاستبيان، وخلصت إلى إمكانية تطويره بحيث يقيس أنماط التكفير والاتجاهات نحو التكفير وفق النموذج المقترح. وقد اختتمت الدراسة بتوصيات تم تصنيفها إلى: توصيات للمؤسسات البحثية، وتوصيات للدراسات المستقبلية.

مقدمة

مفهوم الدين - أي دين - يقتضي بالضرورة أن هنالك أناساً يؤمنون به (مؤمنين) وآخرين يكفرون به (كافرين)، فـ "التكفير" إذن بضوابطه الصحيحة قضية لا جدل معتبر حول مشروعيتها، حيث أنها تلتصق بجوهر الدين بوصفها سمة محورية له ولازماً لا ينفك عنها بحال، إلا أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية المعاصرة تعاني من اضطرابات فكرية وانحراف مخيف في مسائل التكفير؛ من خلال تلبس فئة من الناس بالتكفير المنحرف أو الباطل (أي التكفير الذي لا يلتزم بالضوابط الشرعية، وللاختصار سوف نستخدم مصطلح التكفير)، مما

يجعل التكفير أحد أكبر مهددات "الأمن الفكري" في تلك المجتمعات، حيث يعتبر ذلك اللون من التكفير منطلقاً رئيساً لكثير من حركات وجماعات الغلو/التطرف^١ والعنف/الإرهاب^٢ وجرائمها البشعة؛ قتلاً لأنفس المعصومة (مسلمة كانت أو غير مسلمة)، وتدميراً للمباني والمنشآت والمصالح والمقدرات الوطنية، وفق إطار فكري ينبثق من "فهم خاطئ" لـ "أفكار صحيحة" أو "أفكار خاطئة" ضمن مفردات المنظومة الدينية للفئات المتورطة بالتكفير وما قد يترتب عليه من اتجاهات وتصرفات خطيرة. وقد أدركت المجتمعات العربية والإسلامية خطورة ذلك التكفير، وشددت على ضرورة التصدي له بوصفه متكبناً دينياً مغلوطيناً للغلو والعنف، إلا أنه لم تُبذل جهودٌ بحثيةٌ معمّقةٌ في سبيل تشخيص منهجي لظاهرة التكفير في واقعنا المعاصر. وظاهرة التكفير ليست قضية خطيرة فحسب بل قضية مركّبة ومعقّدة للغاية، مما يجعلنا مطالبين ببذل جهود بحثية تشخيصية متواصلة لتلك الظاهرة. ويقضي التشخيص المنهجي تجاوز التوصيفات التراثية للتكفير، ولا يعني هذا هجرها أو الدعوة إلى عدم الاستفادة منها، فذاك غير متصور، وإنما المطالبة بعدم التوقف عند تلك التوصيفات، فقضية التكفير من القضايا المتجددة، مما يجعل لها سمات وتظاهرات وأنماطاً وآثاراً متغيرة؛ نلاحظها ونؤطرها بمنهج تشخيصي يؤمن بضرورة الممارسة الإبداعية في التعاطي مع تلك القضية، من خلال تطوير أدوات جديدة لفهم الظاهرة و تشخيصها وعلاجها وما يتطلبه ذلك من ابتكار مصطلحات انعكاسية ذات عمق نظري وذات قابلية لأن تكون ضمن أدوات التحليل والتفكير، بجانب بناء وتطوير أدوات استكشاف وقياس دقيقة.

وعلى الرغم من المحاولات غير الموضوعية من قبل البعض لربط قضايا الغلو والعنف بدين معين أو مجتمعات محددة^٣، إلا أنه بات جلياً أنها قضايا عالمية تواجه الدول والمجتمعات بنسب متفاوتة وبوابع مختلفة^٤، وقد نالت

1 مصطلح الغلو يتقاطع معه عدة مصطلحات من أبرزها: التطرف والأصولية، وقد فضلنا استخدام مصطلح الغلو في هذه الدراسة لأنه أكثر دقة وضبطاً بل وتناغماً مع ظاهرة التكفير، ويدور معنى الغلو حول مجاوزة الحد أو المبالغة في الشيء والتشديد فيه أي تجاوز الحد الشرعي بالزيادة، وهنالك من يفرّق بين نوعين من الغلو: غلو كلي اعتقادي وغلو جزئي عملي، انظر مثلاً: اللويحي، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ص ٢٠-٣٠؛ المالكي (١٤٢٧هـ)، نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، وقد ساق المالكي تعريفاً إجرائياً للغلو، ص ١٧-١٨.

2 يتحفظ الباحث على استخدام مصطلح "الإرهاب"، نظراً للإشكاليات الكبيرة في تعريفه، انظر مثلاً: المطرودي (١٤٢٥هـ)، نظرة في مفهوم الإرهاب، ص ٩-١٩؛ خوالدة (٢٠٠٥)، علم نفس الإرهاب، ص ٢٢-٣٢؛ الترتوري وجويجان (١٤٢٦هـ)، علم الإرهاب، ص ٢٠-٤٠، ولذلك فإن الباحث يفضل استخدام مصطلح "العنف" فهو الأقرب للمعنى المراد والأبعد عن الكثير من تلك الإشكاليات، كما أن المصطلح الأخير يشكّل الجوهر الأساس في تعريف الدول العربية للإرهاب، حيث جاء في المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، أن الإرهاب هو "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيّاً كانت بواعثه وأغراضه...."، انظر عيد (١٤٢٠هـ)، واقع الإرهاب في الوطن العربي، ص ٣١.

3 من الأبعاد الخطيرة في بعض الأبحاث والكتابات الغربية الإصرار على ربط ظاهرة العنف بالإسلام، الأمر الذي يقود البعض إلى تبني الدعوة إلى تجهيز طواقم كافية من الباحثين والمحللين والمترجمين لفهم الإسلام والمسلمين وثقافتهم ومجتمعاتهم بكل تشكّلاتها، أنظر:

McCabe, m. (2009), The Information Confrontation with Radical Islam

قضية العنف اهتماماً بحثياً بارزاً، حيث تشهد الأدبيات العلمية آلاف الأبحاث في مختلف دول العالم، في محاولة لفهم تلك الظاهرة والتعرف على مسبباتها والبيئة التي تنمو فيها وتحديد آثارها وطرق علاجها. وحين يوصف التكفير بأنه من ضمن مهددات الأمن الفكري، فإن ذلك لا يعني أن التكفير يصل بالضرورة بكل فرد إلى حد ممارسة العدوان والعنف، بل قد يقتصر على جعل الفرد يتلبس بحالات العطالة الفكرية أو السلبية الفردية أو الانسحابية الاجتماعية، ويعد كل ذلك خسارة فادحة وفق المؤشرات والمقاييس النهضوية والحضارية.

المشكلة البحثية

تتمحور المشكلة البحثية حول ندرة الجهود العلمية التي تستهدف بناء نماذج تشخيصية وتفسيرية لظاهرة التكفير، أخذاً بالاعتبار العوامل الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية التي تؤثر على تلك الظاهرة بشكل أو بآخر، ولقد تسببت تلك الندرة في عدم توجيه جهود بحثية لبناء وتطوير أدوات للاستكشاف الكيفي (النوعي) والقياس الكمي لتلك الظاهرة في ضوء ثقافتنا وإطارنا الحضاري، مما أضعف قدرات المجتمعات العربية والإسلامية على فهم تلك الظاهرة وتفسيرها في سياقها المعاصرة. بما في ذلك توصيف ماهية التكفير والتعرف على أسبابه وأنماط تشكّله وتطوره ومراحل انتشاره وموجات تمدده وانحساره. وجلي بأنه لا يمكن بناء تلك النماذج أو الأدوات في بحث علمي واحد أو أبحاث محدودة، نظراً لتعدد ظاهرة التكفير وتشعبها من حيث أسبابها وبواعثها وأنماطها ومآلاتها، مما يؤكد على أهمية مراعاة جانب التراكمية في الجهود البحثية في ذلك المجال، مع ضرورة الإفادة من الحقول المعرفية المختلفة، نظراً لتوفر كل حقل على منظومته المفاهيمية وأدواته المنهجية التي يمكن أن تسهم بشكل تكاملي في عملية البناء والتطوير لمثل تلك النماذج أو الأدوات، وكل ذلك يدفع باتجاه البدء بتنفيذ أبحاث علمية مع الحرص على إحداث تلك التراكمية والتكاملية.

وهنا نرى ضرورة استدعاء حقيقة أن من السمات الأساسية للمعرفة العلمية "التراكمية الرأسية"، إذ أنها تتيح للإنسان أن يراكم النتائج والخبرات السابقة، ليقوم بالعمليات التحليلية النقدية الملائمة؛ التي تمكّنه من استخلاص النظريات والنماذج والمبادئ والمصطلحات، غير أن الفضاء البحثي العربي - في بعض مؤسساتنا البحثية - يتبنى أطراً وإجراءات لا تعين على تحقيق تلك السمة، حيث تقرر تلك المؤسسات أن "جدة" الموضوع شرط رئيس لقبول العمل البحثي حتى ولو كان الموضوع إشكالياً أو معقداً، مما رسّخ لدى بعض الباحثين عدم الإقدام على دراسة موضوعات سبق دراستها، وقد فوّتت تلك الممارسة علينا إحداث التراكمية، كما أنها قادت إلى الاعتماد على نتائج دراسات محدودة، قد تكون نتائجها غير دقيقة أو غير مكتملة لأسباب

4 انظر مثلاً: اللويحق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، ص ٤٤؛ بن بيه (١٤٢٨هـ)، الإرهاب - التشخيص والحلول، ص

١٤١-١٤٤؛ Salzman, m. (2008), Globalization, religious fundamentalism and the need for meaning

تعود إلى المنهجية العلمية المستخدمة أو تحيزات سلبية لدى الباحثين أو ضعف الخبرة البحثية لديهم. ونعتقد بأن تلك الممارسة تحتاج إلى إعادة نظر لاسيما في التعاطي مع الظواهر شديد التشابك والتعقيد.

أهمية الدراسة وأهدافها

تتجسد أهمية الدراسة الحالية في العديد من الجوانب، ومن أهمها ما يلي:

١. تبجهد الدراسة لأن تتصف بقدر من الأصالة النظرية ، حيث تسعى إلى تقديم نموذج تشخيصي مبدئي لظاهرة التكفير في سياقها المعاصرة وفق منظومة مفاهيمية محددة.

٢. تسعى الدراسة إلى تحقيق جانب من جوانب الأصالة التطبيقية عبر تقديم إطار بحثي مقترح لمعاونة الباحثين على تنفيذ دراسات علمية في مجال فهم وتفسير وقياس ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من العوامل والظواهر الأخرى، بجانب إسهام الدراسة في بناء أدوات للاستكشاف الكيفي والقياس الكمي لظاهرة التكفير.

٣. يرنجى من ذلك الإطار البحثي المقترح أن يُعين على تدعيم حركة التعاون البحثي بين المتخصصين في العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية، مما يعزّز جهود "أسلمة المعرفة"؛ مع ما يقتضيه ذلك من استعادة اللحمة المنهجية والفكرية بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية^٥، والترشيد والدفع بحركة توطين العلوم الاجتماعية بما يسهم في تحقيق أكبر قدر ممكن من المواءمة بين تلك العلوم والحقائق في المجتمعات العربية والإسلامية وفق ثوابتها ومنظومتها القيمية^٦.

٤. إمكانية الاستفادة من نتائجها وتوصياتها في جهود تدعيم الأمن الفكري باعتباره داعماً رئيساً للأمن الوطني، من خلال التطبيق العملي - بعد عمليات التطوير اللازمة- للنموذج التشخيصي أو الإطار البحثي المقترح أو أدوات الاستكشاف أو القياس لظاهرة التكفير وما يرتبط بها من العوامل والظواهر الأخرى؛ بما يعين على التشخيص المبكر لتلك الظاهرة لدى الفئات والشرائح الاجتماعية - لاسيما الشباب - على نحو يسهم في فهم الظاهرة وتفسيرها ومن ثم القدرة على معالجتها بشكل سليم وفي الأوقات الملائمة وذلك قبل استفحالها.

ويستهدف البحث تحقيق ما يلي:

١. بناء نموذج تشخيصي مبدئي لظاهرة التكفير، من شأنه معاونتنا على فهم تلك الظاهرة وتفسيرها والتعرف على أنماطها ومراحل تشكّلها.

5 تقوم الأسلمة على إعادة الصياغة المعرفية والمنهجية للعلوم الاجتماعية في ضوء نصوص الوحيين المطهرين؛ بما يتطلبه ذلك من ممارسة النشاط البحثي الاجتماعي في ضوء التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة وفق رؤية معرفية شاملة وإطار مفاهيمي محدد، انظر مثلاً: حمد (١٤٢٤هـ) منهجية القرآن المعرفية ، ص ٣١-٤٢؛ الخطيب (١٤٢٤هـ) ، الجمع بين قراءتي الوحي والكون للخروج بالعلوم الإنسانية والاجتماعية من مأزق المنهجية الغربية، ص ٦-١٤؛ العلواني (١٢٤٥هـ) ، نحو منهجية معرفية قرآنية، ص ٢٦٥-٢٨٩.

6 كلمة توطين مشتقة من "الوطن"، وتهدف عملية توطين العلوم الاجتماعية إلى تأسيس أنظمة معرفية أو نظرية تتواءم مع الحقائق الاجتماعية والثقافية في المجتمع، والبعض يعبر عن التوطين بمصطلحات أخرى مثل: تهيئة "من بيئة"، وازدراع "من زراعة"، وهنالك نوع من التداخل في المعنى مع مصطلحات الأسلمة والتأصيل، انظر: الخليفة (٢٠٠٨)، آفاق توطين علم النفس في العالم العربي، ص ٩-١٤.

٢. بلورة إطار بحثي لدراسة تلك الظاهرة - وما يرتبط بها - يعتمد على البحث الكيفي والبحث الكمي، مع ما يستلزمه ذلك من التعريف الملائم بالأطر المنهجية للبحث الكيفي والبحث الكمي والذي يشمل:
- أ- التعريف المختصر بالبحث الكيفي والبحث الكمي ومزاياهما.
 - ب- التعريف بالمجالات التي يُفضّل فيها استخدام كل منهما في سياق دراسة ظاهرة التكفير.
 - ج- تحديد أهم الطرق البحثية الكيفية والكمية الملائمة لدراسة ظاهرة التكفير.
٣. البناء المبدئي لأدوات استكشاف كيفي وقياس كمي لظاهرة التكفير وفق المنهجية العلمية التي تحكم عملية بناء تلك الأدوات.

منهجية الدراسة

لتحقيق أهدافها المشار إليها آنفاً، عمدت الدراسة إلى استخدام منهجية علمية مركّبة، حيث تم الإطلاع على الأدبيات العلمية وتحليلها وفق منهجية ممرحلة تتلاءم مع كل هدف وتستجيب لمتطلبات تحقيقه، كما تم استخدام منهجية البحث الكيفي من خلال جمع بيانات كيفية وتحليلها بطريقة استقرائية استنتاجية بما يمكن من بناء نموذج مبدئي لتشخيص ظاهرة التكفير، كما تمت الاستعانة بمنهج البحث الكمي من خلال جمع بيانات كمية وتحليلها بشكل إحصائي والخلوص إلى نتائج معينة حول مستوى الثبات والصدق لأداة القياس الكمي.

مدخل إلى الكفر - التكفير

يتمحور المعنى اللغوي للكفر حول الستر والتغطية، فإنه "يقال لمن غطّى درعه بثوبه: قد كفر درعه، والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه"^٧، وأما الكفر اصطلاحاً فهو "عدم الإيمان" وذلك باتفاق المسلمين "سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم"^٨، والكفر هو "اعتقادات وأقوال وأفعال حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان"^٩. أما المعنى الاصطلاحي لـ "التكفير" فهو وصف الشخص بالكفر الأكبر أي بالخروج من دائرة الإسلام. ولقد تقرر في المنهج الإسلامي الصحيح أن "الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة"^{١٠}، وهذا يعني أن "التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه"^{١١} ولذلك فإن "أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفّرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله"^{١٢}، ومؤدى هذا كله أن للتكفير ضوابط شرعية لا يجوز لأحد أن يتجاوزها، وقد جاء في محكم الترتيل

7 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة كفر.

8 ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٨٦/٢٠.

9 العبد اللطيف (١٤١٥هـ)، نواقض الإيمان القولية والعملية، ص ٣٩.

10 ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ٢٤٢/١.

11 ابن الوزير، العواصم والقواصم، ١٧٨/٤.

12 ابن تيمية، الرد على البكري، ص ٢٧٥.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) [النساء: ٩٤]، ولقد ثبت في الحديث "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما" ^{١٣}، وقد وردت نصوص شرعية كثيرة، استنبط منها العلماء المحققون الضوابط الشرعية للتكفير. وقد حذر العلماء من مغبة الوقوع في التكفير، ومن ذلك نجد أن ابن تيمية يقرر بأن "الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله، ليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله وتحريم ما حرمه الله ورسوله" ^{١٤}، ويشدد الغزالي بقوله: "والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه: الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلا، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، المصرحين بقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم" ^{١٥}.

ولإحكام عملية تأمين المجتمع من التورط في الفكر التكفيري، فقد وضعت الشريعة الإسلامية إطاراً منهجياً محكماً للتكفير يقوم على التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين، كما رُتبت على تكفير المعين - وهو الأخطر - شروطاً دقيقة وهي: (١) أن يقصد المعين بكلامه المعنى المكفر، (٢) أن تقوم عليه الحجة. ولم يتم الاكتفاء بتحقيق تلك الشروط، بل لابد من انتفاء الموانع أيضاً والتي تتضمن قسمين: (١) موانع إلحاق التكفير بالمعين وتشمل الخطأ والجهل والعجز والإكراه، (٢) ما يمحو الكفر بعد ثبوته على المعين (بالتوبة) ^{١٦}. وبشأن مصطلح "التكفير" الذي نعتمده في هذا البحث فهو "التكفير المنحرف" أو "التكفير المغلوط"، وهو وصف شخص أو جماعة بأنهم خارجون من دائرة الإسلام من دون الالتزام بالضوابط الشرعية المعتبرة في مسألة التكفير سواء فيما يتعلق بالشروط أو الموانع والتي أومأنا إليها بشكل عام ومختصر في الجزء السابق.

تعقد ظاهرة التكفير وتشابكها مع ظواهر أخرى

تتسم ظاهرة التكفير بالتعقيد الشديد من جهتين، فهي ظاهرة معقدة باعتبار عواملها الذاتية من أسباب وبواعث وسمات وآثار، وهي معقدة أيضاً من جهة تشابكها بالعديد من الظواهر المعقدة الأخرى كالغلو والتشدد والتعصب والعدوان والعنف، مما يجعلنا نشدد القول بضرورة بذل جهود بحثية معمقة ذات طبيعة تراكمية عليها تعيننا على بناء أطر مفاهيمية ونماذج تشخيصية وتفسيرية لتلك الظاهرة في سياقها المعاصرة، مما يمهّد لنا السبيل لفهمها وتفسيرها ووضع الحلول الملائمة لها على المستويين الوقائي والعلاجي. ويمكن لنا تجلية سمة التعقيد في ظاهرة التكفير من خلال القراءة التحليلية للأدبيات العلمية ذات الصلة بظاهرة التكفير والظواهر المرتبطة بها. وبعد القراءة التحليلية لتلك الأدبيات، خلصنا إلى بعض النتائج الهامة والتي نوجزها فيما يلي:

13 البخاري في الأدب (باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) ومسلم في الإيمان (باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر).

14 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥/٥٤٥.

15 أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٥٧.

16 للتفصيل حول شروط تكفير المعين وموانعه، أنظر مثلاً: المشعي (١٤١٨هـ)، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، ص ٢٠٤-٢٧٣؛

العبد اللطيف، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢-٧٤.

١. لم تفلح أو بالأحرى لم تتوجه جهودنا البحثية لإيجاد نظرية علمية أو نموذج تفسيري لظاهرة التكفير والظواهر ذات الصلة، ولهذا الأمر آثار خطيرة سوف نتعرض لها لاحقاً بقدر لائق من التفصيل.
 ٢. أن نسبة كبيرة من تلك الأدبيات يتجسد في شكل كتب أو كتيبات أو أوراق عمل تعبر عن وجهات نظر شخصية لكتّابها من دون توضيح للأطر المنهجية التي التزم بها المؤلفون أو الباحثون لدراسة تلك الظواهر.
 ٣. بعض تلك الأدبيات عبارة عن دراسات - يغلب عليها الجانب الكمي - تفتقر للعمق النظري والجودة المنهجية في ضوء ممارسات بحثية لا تعترف بتعدد تلك الظواهر وتشابك العلاقات فيما بين العوامل المؤثرة فيها؛ ومن ثم فهي لا تستجيب للمتطلبات المنهجية للتعاطي معها، سواءً من حيث ملاءمة التصميم المنهجي أو شمولية المعالجة البحثية أو ثراء البيانات والمعلومات التي يتم جمعها أو جودة عمليات تحليلها؛ للخلوص إلى نتائج ذات قيمة تفسيرية عالية لتلك الظواهر في سياقها المعاصرة.
 ٤. بالإضافة إلى ذلك نلاحظ ندرة الدراسات العربية التي تناولت ظاهرة التكفير وفق التوصيف السابق، حيث ركزت أكثر الدراسات على ظواهر العنف/الإرهاب.
- وما سبق من ملاحظات لا ينفي ولا يتنكر للجهود البحثية الرصينة التي خلصت إلى نتائج ومؤشرات هامة بشأن ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من الظواهر الأخرى، وسنعمد إلى عرض أبرز النتائج كما يلي:
- بخصوص علاقة التكفير بالغلو، أشارت بعض الدراسات إلى وجود علاقة قوية بين الغلو والتكفير؛ فالباحث عبدالرحمن اللويحق - على سبيل المثال - يقرّر بأن من أهم مظاهر الغلو في الدين التكفير المنحرف الذي يتخذ عدة مظاهر، منها: التكفير بالمعصية، وتكفير الحاكم بغير من أنزل الله بإطلاق، وتكفير المحكومين بغير ما أنزل الله بإطلاق، وتكفير المعيّن دون اعتبار للضوابط الشرعية^{١٧}، وفي الاتجاه ذاته يذهب الباحث عبدالسلام السلیمان في دراسته التي خصصها لبحث علاقة الغلو في التكفير بالجريمة والجريمة المنظمة^{١٨}، وقد شدّد السلیمان على أن التكفير قد يجر إلى الخروج على الحاكم والخروج عن جماعة المسلمين^{١٩}. ويقرر بعض الباحثين بأن التكفير عادة ما يرتبط بترعة التشدد الديني والميل نحو التحريم^{٢٠}.
- وقد ذكر الباحث اللويحق مجموعة من الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى الغلو^{٢١}، وقد صنفها إلى سبعة أقسام،

17 اللويحق، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.

18 السلیمان (١٤٢٦هـ)، صلة الغلو في التكفير بالجريمة ص ٩-١٠.

19 المرجع السابق، ص ١٢٥-١٦٩.

20 نعمان السامرائي (١٤٢٨هـ)، التكفير في القرآن السنة، ص ٩٠-٩١.

21 مما يستحق الإشادة والتنويه في دراسة اللويحق، أنه تعاظم مع حقيقة تعدد ظاهرة الغلو وتركيبيتها مما يحتم منهجياً النظر إلى الزوايا المختلفة للظاهرة؛ كما أشار اللويحق إلى المنهج العلمي الذي استخدمه لتحديد تلك الأسباب والذي ارتكز على قراءة تحليلية لكتب الواقعين في الغلو ودراسة تاريخية للجماعات الغالية قديماً وحديثاً مع محاولة الإفادة من ظاهرة الغلو في المجتمعات غير المسلمة كالأقباط مع قيامه ببعض المقابلات مع بعض أفراد الفئات الغالية ومن ثم قراءة الأدبيات العلمية النفسية، وهذا يعني أنه طبق إلى حد ما - وإن

وهي^{٢٢}: (١) أسباب تعود إلى الجهل ، ومنها الجهل بنصوص الوحيين ومنهج السلف ومقاصد الشريعة والسنن الربانية وحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال ومراتب الأحكام ومراتب الناس ؛ (٢) أسباب تعود إلى المنهج العلمي ومنها الإعراض عن العلماء والتأويل والتحريف وإتباع المتشابه وعدم الجمع بين الأدلة و التعامل المباشر مع النص والفهم الحرفي له والاجتهاد من غير أهله؛ (٣) أسباب تعود إلى المنهج العملي وتشمل الاستعجال والتعصب وعدم تقدير ظروف الناس؛ (٤) أسباب نفسية ومنها افتقار التوافق وعدم إشباع الحاجات والاضطرابات النفسية والسلوكية والانفعالية؛ (٥) أسباب تربوية وهي ضعف الصبر واليأس وطبيعة الشباب وإتباع الهوى، والجدال واختلال مناهج التعليم؛ (٦) أسباب اجتماعية ومنها عدم تحكيم الشريعة الإسلامية والفساد العقدي وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم والاستهزاء بالدين ومظاهر التدين والعنف والتعذيب والانحلال الأخلاقي واختلال الأوضاع الاقتصادية وضعف دور العلماء ومشاكل الهوية وغياب الشورى والهزائم السياسية والعسكرية ؛ (٧) أسباب علمية ومنها التآمر على الدين الإسلامي من قبل بعض القوى العالمية. وقد صنف اللويحق الآثار المترتبة على الغلو في أربعة أنواع^{٢٣}: (١) آثار عقدية (ومنها التفرق والاستدراك على الشريعة) ، (٢) آثار فكرية (ومنها التناقض وتشويه صورة الإسلام وغياب الوسطية)، (٣) آثار سلوكية واجتماعية (ومنها الانقطاع عن العمل) ، (٤) آثار اجتماعية (ومنها وقوع التشديد من الله وتضييع الحقوق وقتل أهل الإسلام).

ولئن كانت دراسة اللويحق قد عاجلت الأسباب التي تتعلق بالغلو بشكل عام ، فقد عمدت دراسة السليمان إلى ملامسة الأسباب المتصلة بظاهرة الغلو في التكفير على وجه الخصوص والتي تشمل بحسب الباحث السليمان: الجهل بالدين الإسلامي؛ والتشدد الديني؛ والابتعاد عن العلماء وضعف الاقتداء بهم؛ وانتشار البدع وظهور المنكرات والإعراض عن الدين؛ وتصدر غير الأكفاء في مجال الدعوة الإسلامية؛ والخلل في مناهج بعض الدعوات الإسلامية المعاصرة؛ وشدة الغيرة وقوة العاطفة لدى بعض الشباب مع ضعف العلم والحكمة؛ وفساد الإعلام المعاصر؛ وشيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله؛ وتحكم الكافرين في مصالح المسلمين^{٢٤}. ويعتبر بعض الباحثين بأن الاضطهاد السياسي من أسباب التكفير في العصر الحديث^{٢٥}.

بطريقة ضمنية وغير دقيقة - منهجية البحث الكيفي (النوعي)، وهو ما سنعالجه في أجزاء لاحقة في هذا البحث، كما أنه لفت النظر إلى بعض الأخطاء المنهجية في تحديد مثل تلك الأسباب في بعض الدراسات العربية، انظر دراسة اللويحق، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣-٦٧.

22 اللويحق، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩-٦٥٦

23 اللويحق، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥٧-٧٦٩.

24 السليمان، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢-٥٤، مع التنبيه إلى أن السليمان أشار إلى أنه قد أفاد من استقراء تاريخ الخوارج في تحديد تلك الأسباب، وبعد الاطلاع عليها نخلص إلى أن ذلك الاستقراء - على فرض دقته - قد تم تطبيقه على بعض الأسباب وليس كلها.

25 نعمان السامرائي، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١-٨٦ ، وقد طرح السامرائي سؤالاً محتملاً: هل الاضطهاد السياسي جديد كلية حتى يفرز التكفير؟ ويجيب عليه السامرائي بأن العالم المعاصر معبأ ضد الاضطهاد والاستبداد ، كما أن أثر الاضطهاد يخف إذا كانت الأمة تواجه خطراً خارجياً ، أو بسبب أن الحكام لهم نجاحات في مجالات أخرى .

وقد أورد السليمان عشر سمات للغالين في التكفير ومنها^{٢٦}: الغلو والتشدد الديني ، الغيرة غير المترنة، الابتعاد عن العلماء وجفوتهم، والتعالم والغرور ، والنقمة على الواقع، وقد أكد السليمان على مسألة جديدة بالبحث وهي اختلاف سمات الغالين في التكفير باختلاف البلاد التي ينتمون إليها^{٢٧} ، وتنسجم هذه النتيجة مع حقيقة تؤكد عليها العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة والتي تتأسس على أن لكل بلد خصائصه المميزة التي تخلق أطراً ثقافية واجتماعية وسياسية من شأنها التأثير على طرائق التفكير والاتجاهات والدوافع والسمات الشخصية^{٢٨}؛ بما في ذلك سمات الغالين والمتشددين ، مع ملاحظة أن ذلك الاختلاف قد يكون نوعياً وكمياً. كما استعرض السليمان سبع صور للغلو في التكفير ومنها^{٢٩}: التكفير بالمعصية، وتكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية، تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله بإطلاق ، وتكفير الأتباع المحكومين بغير ما أنزل الله، والقول بجاهلية المجتمعات المسلمة^{٣٠}.

وقد كشفت دراسة متخصصة في العلوم الأمنية عن أن من أهم أسباب العنف الانحرافات الفكرية ومنها انتشار الغلو وشيوع الفكر التكفيري^{٣١}، وقد أكدت تلك الدراسة على وجود صلة بين التعصب الفكري أو الأيديولوجي وأعمال العنف، وهذا يعني أن الاتجاهات المتعلقة بالتكفير قد تترجم إلى "سلوك" عنيف؛ بعد أن كانت لا تتعدى محيط "النوايا السلوكية"، كما شددت الدراسة على أهمية الكشف المبكر عن الانحرافات الفكرية لدى الطلاب وتشخيصها بشكل دقيق مما يعين على الوقاية والعلاج ، مع أهمية دراسة ظاهرة الانقطاع عن الدراسة وما قد تسببه من خلق فضاءات مواتية لمثل تلك الانحرافات الخطيرة^{٣٢}.

ويذهب أكثر الباحثين إلى أن دوافع العدوان – باعتباره أحد أشكال العنف – مكتسبة وليست فطرية أو غريزية ، أي أنه نمط فكري سلوكي يتم تعلمه بتأثير المحيط الثقافي للإنسان، إلا أن هناك عدم اتفاق حول الأسباب التفصيلية لاكتساب النمط العدواني؛ فبعضهم يرى أن العدوان يحصل بسبب تأثير الثواب والعقاب والإحباط على سلوك الإنسان لاسيما في المراحل الأولى للطفولة، في حين أن البعض الآخر يقرر بأن العدوان يحصل من جراء التقليد والمحاكاة، ويرى فريق من الباحثين بأن العدوان سمة شخصية تنمو في مرحلة الطفولة

26 السليمان ، مرجع سبق ذكره، ص ٥٤، وانظر أيضاً: العقل (١٩٤١هـ)، الخوارج، ص ١٠٣-١١٠.

27 السليمان ، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٨، انظر مثلاً: عبدالحى (٢٠٠٨)، التربية وظاهرة الإرهاب، ص ١٠٧.

28 انظر مثلاً: Triandis, H. (1996), The psychological measurement of cultural syndromes ; Shiraev E. and Levy D. (2001), Introduction to Cross-Cultural Psychology: Critical Thinking and Contemporary Application

29 السليمان، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩-١٢٢.

30 ناقش الكثيرون فكرة "الجاهلية" وعلاقتها بظاهرة التكفير، انظر مثلاً: نعمان السامرائي، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٥-٢٤٠.

31 المالكي، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٢.

32 المالكي، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٣-٧٥ ، ١٣٩-١٤٠.

نتيجة للتفاعل بين عوامل فطرية وأخرى بيئية، غير أن أكثرية الباحثين تقلل من شأن تأثير العوامل الفطرية في تنمية تلك السمة^{٣٣}. ومن أهم العوامل ذات العلاقة بمسألة العدوان والصراع بين الجماعات ما يعرف بـ "التعصب"، وسلف القول بأن دراسات عربية توصلت إلى أن التعصب من أسباب الغلو والعنف^{٣٤}، وقد نال موضوع التعصب اهتماماً بحثياً متزايداً في العلوم الاجتماعية والإنسانية بدءاً من عشرينيات القرن العشرين الميلادي، وليس هناك تعريف متفق عليه للتعصب، ومن التعريفات المقترحة تعريف الباحث "باس" والذي ذهب فيه إلى أنه "عداء أو عدوان تجاه الأشخاص على أساس عضويتهم في جماعة معينة"^{٣٥}، وهناك صعوبات منهجية بالغة في عملية بلورة مفهوم التعصب، وثمة رأي شائع يذهب إلى أنه يمكن النظر إلى التعصب كـ "اتجاهات سلبية"؛ مع التركيز على المكوّن الوجداني في الاتجاهات التعصبية والتي تتسم عادة بكونها تقوم على التعميم الخاطي والجمود واللامنطقية واللاموضوعية وضعف العدالة لانتهاكه لإنسانية الجماعات الأخرى التي يوجّه التعصب ضد أفرادها، وقد توصلت بعض الدراسات إلى أن الاتجاهات التعصبية يترجم في الغالب إلى سلوك؛ بأشكال سلوكية مختلفة تبدأ من الكلام وتمر بالعدوان والقتل^{٣٦}. وقد جهدت عدة دراسات للكشف عن العوامل التي تؤثر على التعصب، وانتهت إلى تحديد بعض العوامل ومنها: الإحباط^{٣٧}، والاتساق العقائدي بين أفراد الجماعات المتعصبة^{٣٨}، وضعف التوافق النفسي وانخفاض تقدير الذات^{٣٩} مما يجعل الإنسان يلجأ إلى التعصب كميكانيزم دفاعي يستهدف مقاومة القلق الناشئ من ضعف التوافق وانخفاض التقدير للذات، أما العوامل المعرفية فقد خلصت دراسات متخصصة إلى أن الشخص المتعصب يتسم بكونه لا يتحمل الغموض مما يدفعه إلى التفكير السطحي وتجاهل المعلومات المعقّدة مما يورطه بالاستنتاجات السريعة، بالإضافة إلى ضعف القدرة على تغيير طريقة التفكير وتعديل استراتيجيات حل المشاكل^{٤٠}، وقد حاولت دراسة توصيف التفكير

33 للاستزادة انظر: موسى (١٤١٩هـ)، علم نفس الدعوة بين النظرية والتطبيق، ص ٨٦٨-٨٧٤؛ إبراهيم (٢٠٠٥)، الإرهاب- الظاهرة وأبعادها النفسية، ص ١٥٣-١٥٤.

34 للويحق، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٤-٢٩٦؛ المالكي مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩-١٤٠.

35 Buss, H. (1961), The psychology of aggression, P. 61، انظر دكت (١٤٢٠هـ)، علم النفس الاجتماعي والتعصب، ص ٨٧-٩٨.

36 Allport, W. (1954), The nature of Prejudice, p. 14-15.

37 Cowen, E., Landes, J. and Schaet, D. (1959), The effects of mild frustration on the expression of prejudiced attitudes
Feshbach, S. and Singer, R. (1957), The effects of

personal and shared threats on social prejudice
انظر: دكت، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠-١٦٦.

38 Newcomb, T. (1961), The acquaintance process، Byrne, D. (1971), The attraction paradigm

process، انظر: دكت، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٦-١٧١.

39 Bagley, C. , et. al . (1979), Personality, self-esteem and prejudice، Allport, W. Op. Cit.,
انظر: دكت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٦-٢٧٢؛ Loza, W. (2007), The psychology of extremism and terrorism, p. 146.

40 Adorno, T., et al.(1950), The authoritarian personality، انظر: دكت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٧-٢٩٠.

لدى المتطرفين المسلمين بمراجعة الأدبيات وانتهت إلى نتائج مشابهة، ولفتت الأنظار إلى أنهم يتسمون بالتفكير المثالي والنظرة الدوغمائية الثنائية (مثل: خير/شر ، حق/باطل) والقبولة الفكرية^{٤١}، وهذه النتائج يمكن الاستئناس بها عند تنفيذ دراسات تستهدف تحديد أنماط التفكير لدى المتورطين بالتكفير وأعمال العنف. وتكتسب العوامل الشخصية المرتبطة بأي ظاهرة إنسانية أهمية كبيرة، ذلك أن الأفراد يختلفون في الاستجابة للظروف والحيثيات التي يواجهونها في بيئتهم الثقافية نظراً لاختلافهم في "الشخصية"^{٤٢}؛ التي تعبر عن "تكامل جميع خصائص الفرد المستقرة نسبياً في تنظيم فريد يحدد محاولاته للتكيف مع بيئته دائمة التغير"^{٤٣}، ومما يترتب على ذلك أن للشخصية تأثيراً جلياً في علاقات الإنسان التفاعلية في محيطه الثقافي الذي يتسم بديمومة التغير، مما يعكس حالة ديناميكية تتطلب قدرة فائقة على الفهم والرصد والتشخيص الذي يتابع التغيرات المحتملة في جوانب تلك الشخصية، مع التركيز على الظاهرة محل الدراسة. وبخصوص العوامل الشخصية للتكفير، لم نقف على دراسات علمية استهدفت التعرف على مثل تلك العوامل، مما يدفع باتجاه تناول العوامل المرتبطة بالظواهر ذات الصلة بالتكفير كنوع من الاستئناس العام بنتائج الدراسات وما قد يترتب عليه من إثراء الجانب الوصفي والتحليلي لأدبياتها العلمية. ويمكن استعراض بعض العوامل الشخصية وفق البنود المختصرة التالية^{٤٤}:

● **الجنس (ذكر - أنثى).** تشير الكثير من الدراسات إلى أن الذكور هم الأكثر ارتكاباً للجرائم من النساء في الدول العربية وغيرها، وقد وصلت نسبة الذكور للمتورطين في أعمال العنف "الإرهاب" إلى ما يزيد على ٩٠% وفق دراسة عربية أجريت في مصر (٢٠٠٢م).

● **العمر.** تدل نتائج بعض الدراسات أن لكل مرحلة عمرية نوعاً معيناً من الجرائم، وقد توصلت بعض الدراسات إلى أن من أخطر المراحل العمرية هي ما بين ١٨-٢٥، وهي مرحلة البدء بالتفكير بالاستقرار وفق أوضاع يرتضيها الإنسان، وتشير دراسات أجريت في بعض البلاد العربية أن تلك الفترة تمتد من ٢٨-٣٢. ومن جهة أخرى، تؤكد بعض الدراسات الأنثروبولوجية أن ارتكاب الجرائم لا يمكن إرجاعه إلى مرحلة عمرية بحد ذاتها إذ أنه نتيجة تفاعل خصائص هذه المرحلة مع العوامل الاجتماعية والاقتصادية.

Loza, W. Op. Cit, p147. 41

42 خوالدة ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

43 صلاح الدين محمود علّام (١٤٢٠هـ)، القياس والتقويم التربوي والنفسي، ص ٥٨٢.

44 للتوسع أنظر: الدراسة العربية التي أجريت في مصر وهي : رشوان (٢٠٠٢)، التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع؛ الترتوري وجويجان ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠١-٢٢٣؛ خوالدة ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٩-١٣٧؛ إبراهيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٣-١٧٢؛ دكت ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٠-٢٨٦؛ بوادي (٢٠٠٦)، تجربة مواجهة الإرهاب، ص ٣٨-٤٥.

● **الحالة الاجتماعية.** توصلت بعض الدراسات إلى أن نسبة الجريمة تزداد عند الذكور العازبين ولدى النساء المتزوجات، وقد أوضحت الدراسة العربية التي أجريت في مصر أن أعلى معدل للعنف "الإرهاب" هو بين العزاب حيث يصل إلى ٥٠% .

● **الظروف الأسرية.** توصلت الدراسة العربية السابقة إلى أن معدلات العنف ترتفع بازدياد عمل الأب خارج البيت لفترة طويلة (العلاقة تصل إلى ٢٧%)، في حين تكون العلاقة بين العنف والمشاجرات بين الوالدين بحدود ١٨% ، أما العلاقة مع عمل الأم خارج البيت فتصل إلى ١٣%.

● **المستوى التعليمي.** تشير بعض الدراسات إلى أن نسبة الإحرام تزداد بانخفاض مستوى التعليم، وقد توصلت الدراسة العربية السابقة إلى أن ٥٤% من المتورطين في العنف يقل مستواهم التعليمي عن المرحلة المتوسطة، وقد دلت بعض النتائج على أن انخفاض التعليم لا يقتصر على الجرمين بل يمتد إلى أسرهم، ففي بعض البلاد العربية وتحديداً في مصر وجد أن تعليم الوالدين لا يتجاوز الابتدائية بنسبة تصل إلى ٧٧% - ٨٨% (للآباء والأمهات على التوالي)، ويعارض بعض الباحثين وجود علاقة بين التعليم والجريمة.

● **التربية الدينية.** خلصت الدراسة العربية السابقة إلى أن من يحفظ القرآن الكريم كاملاً لا يتجاوز نسبتهم ٣,٣% من المتورطين بالعنف، في حين بلغت النسبة ٥٦% لمن لا يحفظ شيئاً أو يحفظ شيئاً يسيراً من القرآن، وبخصوص أمهات الكتب الدينية أوضحت الدراسة أن ٣٦,٢٥% منهم لم يقرأوا شيئاً منها وأن الغالبية قد قرأت كتاباً واحداً فقط.

● **الوضع الاقتصادي.** هناك اختلاف في نتائج الدراسات فيما يتعلق بعلاقة الجريمة بالوضع الاقتصادي، وهنالك من يعارض اعتبار العوامل الاقتصادية كعوامل رئيسية فهم يرونها عوامل مهيئة فقط، وقد أوضحت الدراسة العربية السابقة بأن الأوضاع الاقتصادية كانت رديئة لـ ٧٧% من العينة المتورطة في العنف.

● **جماعة الأصدقاء.** خلصت الدراسة العربية السابقة إلى أن جماعة الأصدقاء تكون مسئولة عن الانخراط في جماعات الغلو والعنف بنسبة تصل إلى ٦٠%.

وثمة عوامل آخر تشير إليها بعض الدراسات ومنها قنوات المعلومات بمختلف أشكالها بما فيها الإنترنت^{٤٥}؛ من حيث تعاطي الأفراد معها ومعدلات استخدامها ، كما تشير دراسات أخرى إلى البيئة والمناخ ونحو ذلك.

"القابلية للانصياع" مفتاح لفهم ظاهرة التكفير

بعد تحليل البيانات الكيفية توصلنا إلى نتيجة مبدئية ؛ نحسب أنها قد تكون مفتاحاً لفهم بعض أبعاد ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من الظواهر الأخرى، فقد لاحظنا أن الجهود والتعبئة التكفيرية تحدث استجابات متفاوتة لدى مختلف الشرائح في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وهنا ينبعث سؤال محوري مفاده: ما السمات والعوامل

45 يشير البعض إلى ظاهرة "الأعلمة" Mediatization أي سيطرة وسائل الإعلام على المجتمع، أنظر: براون (٢٠٠٦)، الجريمة والقانون في ثقافة الإعلام، ص ٢٨٨؛ السند (١٤٢٥هـ)، وسائل الإرهاب الإلكتروني؛ أرحومة (٢٠٠٨)، الإرهاب والانترنت.

التي تمكّنا من تفسير تلك المسألة وتتبع حدودها والكشف عن أبعادها. هذا السؤال يدفعنا أو يجب أن يدفعنا إلى تطوير بعض المصطلحات الانعكاسية التي تحمل قدرة تفسيرية للظواهر الاجتماعية والإنسانية المعقدة، ويمكن ترجمتها إلى تعريفات إجرائية بحيث تتمكن من الاستشكاف والتنقيب الكيفي للعوامل المؤثرة في التكفير وقياسها كمياً. والمصطلح الذي تم التوصل إليه هو "القابلية للانصياع"، وتعكس تلك القابلية درجة الاستعداد لدى هذا الإنسان أو ذاك لأن ينقاد للفكرة التكفيرية ويتأثر بها وربما يؤمن بلوازمها المنحرفة والمتمثلة في أعمال العنف وجرائمه بمختلف أشكاله ودرجاته، فمثلاً وجدنا أن أحد المتورطين في التكفير وأعمال العنف في السعودية يقول - بالنص - : "قابلته - أي الشخص التكفيري"^{٤٦} - كان يتحدث عن الجهاد وعن نصرة المسلمين، فتفارقنا أنا وإياه وأخذ رقم جوالي، وعقبها صار يرسلني رسائل جهادية كذا، ويتصل علي يسلم، وصرت عقبها يتصل وأقابلته، بداية مقابلي ما كان يتحدث عن التكفير أبداً، ولا كان يتحدث عن تحريم المدارس أبداً، ولا شيء أبداً، كان فقط يسهّل الأمور لي، فقط يتكلم عن الجهاد، يوم شافني - حين رأي - أتقبل ولا أناقش، أنا ما أناقش اللي قدامي، يوم شافني أتقبل كذا، بدأ يسب الدولة فقط، بداية ما كان يكفر، بداية سب الدولة فقط، بعدين على شوي شوي قال الدولة أصلاً كافرة"^{٤٧}، ويقول متورط آخر باستعدادات فكرية ونفسية مشابهة: "هذا الفكر خطر، لأنه الفكر أصله أنك تفدي نفسك، يكون عندك الفكر هذا، وبدأ التأثير فيك وتمكّن منك، خلاص، بترمي نفسك، بتقتل نفسك، وهنا خطورته أنك زي الأعمى، يعطيك مساراً تمشي فيه، خلاص، وتبدأ تمشي فيه إلى نهايته وتنفجر، وتقتل، وتقتل ناس معاك"^{٤٨}. ولتيسير استيعاب فكرة "القابلية للانصياع" وجعلها قابلة للاستكشاف البحثي الكيفي والكمي يتعين علينا أن نفتتها إلى أجزائها الأساسية، والتي تتكون من أربعة أجزاء:

46 وفق النموذج التشخيصي المقترح ، يسمى ذلك الشخص التكفيري بصاحب التكفير الناقل، سنوضح النموذج لاحقاً.

47 المصدر: جريدة الوطن السعودية، ١٣-١-٢٠٠٤، وقد أوردنا تلك الاقتباسات كأمثلة رمزية، واكتفينا بها طلباً للاختصار.

48 المصدر: صحيفة الحياة اللندنية ١٥-٥-٢٠٠٧.

١. جزء يعود إلى الإنسان المستهدف "الضحية المحتملة" من جراء اتصافه بمجموعة معينة من السمات الشخصية وأنماط التفكير والاهتمامات الفكرية والخبرات العملية، ومؤهله العلمي وحالته الاقتصادية ورتبته الاجتماعية، بجانب بيئته الثقافية، ومحيطه السياسي.
٢. وجزء يعود إلى الإنسان التكفيري "الجانبي المؤكد" بما يتوفر عليه من سمات شخصية وأنماط تفكير وقدرات ومهارات وخبرات، مع مراعاة أوضاعه العلمية والاقتصادية والاجتماعية والبيئة الثقافية والمحيط السياسي بأبعاده الداخلية والخارجية.
٣. وجزء يتعلق بالفكرة ذاتها، وما يحيط بها من قضايا ومسائل وعوامل وملابسات وإشكاليات دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، وما تحمل تلك الفكرة من جاذبية فكرية وإغراءات نفسية وكارزما شخصية لمنظريها الكبار .

٤. وجزء رابع يرتبط بالفضاء الثقافي والسياسي والحالة الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية في المجتمع، حيث يمكن أن تؤسس مزاجا عاما وتفكيراً جمعياً يميلان درجة - تقل أو تكثر - من "القابلية للانصياع" لدى شرائح محددة، فبعض المجتمعات تحمل مزاجاً عاماً مواتياً للتكفير بدرجة تفوق بشكل كبير مجتمعات عربية أخرى، لأسباب يجب إخضاعها لدراسات معمقة.

وتتضافر تلك الأجزاء مجتمعة لكي تخلق لدى الضحية ما نسميه بـ "القابلية للانصياع"، كبذرة نفسية فكرية، وكفكرة جوهرية مهيمنة على جهازه المعرفي، مما يصيبه بأعلى مستويات التحيز؛ فلا يلتقط جهازه المعرفي حينما يفكر أو ينظر في المسائل والقضايا والمشاكل إلا السمات والخصائص والعوامل التي تتفق مع تلك الفكرة وتنسجم مع مقتضياتها، وقد تنمو تلك القابلية بشكل أو بآخر؛ وبوتيرة سريعة أو بطيئة، وبأسلوب واضح أو غامض، وعلى نحو كامل أو جزئي، وبطريقة قد تفشل أو تنجح، لنكون قبالة تهديد خطير بنشوء شرائح تكفيرية متجددة تغذي أعمال العنف وتزيد أواره. وهنا نتأكد أهمية بذل جهود بحثية تراكمية كي نتمكن من توصيف تلك الشرائح التي تتواجد لديها "القابلية للانصياع" بالإضافة إلى الفئات التي تمارس العمل التعبوي التكفيري وتحديد أنماط تفكيرهم وسماتهم الشخصية وغير ذلك من السمات. وبعد خلوصنا إلى تلك النتائج المبدئية، ومطالعتنا للأدبيات التفصيلية لموضوع الدراسة وقفنا على أن هناك دراسات علمية انتهت إلى نتائج مقاربة، فقد توصلت بعض الدراسات إلى أن هنالك عاملين أساسيين يؤثران في نقل الجماعة لمعتقداتها وأفكارها ومعاييرها - وخصوصاً أفكار التعصب - وهما:

(١) التنشئة الاجتماعية، وهو مفهوم عام وفضفاض يتضمن عمليات واسعة في المحيط الاجتماعي؛ من شأنها إكساب الأفراد الخبرات وطرائق التفكير والاتجاهات وبالذات من الأفراد ذوي الأهمية أو المكانة البارزة في ذلك المحيط، وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن المسؤولين الرئيسيين عن تلك التنشئة هم: الآباء والأقران والمدرسة ووسائل الإعلام^{٤٩}.

(٢) الامتثال أو الانصياع، وهو مفهوم مركّب وغامض أيضاً ويشير عموماً إلى أن القواعد والمعايير والقيم لدى بعض الأفراد تكون عرضة للتأثر والتغير؛ من جراء ضغوط خارجية ومن النادر أن تظل ثابتة بغير تدعيم أو مساندة اجتماعية، ومن الباحثين من عالج الانصياع كسمات شخصية تميز الأفراد بعضهم عن البعض

49 التنشئة الاجتماعية Socialization تتضمن معالجة التأثير لذوي الأهمية والمكانة سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو مؤسسات، وبهذا فهي تبحث الاتجاهات الجماعية وكيفية اكتسابها، Ashmore, R. (1970), The problem of intergroup، Bagley, C. et al. (1979), Personality, self-esteem and prejudice؛ انظر: دكت مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٨-٢٣٢.

الآخر، ومنهم من اعتبره عملية اجتماعية نفسية تتضمن أنواعاً من الانصياع ومنها الانصياع الخارجي (تغير في الآراء أو السلوك بغرض الاتفاق مع الجماعة بسبب الضغوط) ، والانصياع الذاتي (تغير في المعتقدات والقيم الخاصة بالفرد نتيجة للقناعة الداخلية، ولذلك يسمى بالانصياع الحقيقي)، وقد يتواجد نوعا الانصياع في عملية ممرحلة تبدأ بالأول وتنتهي بالثاني ، وقد يتواجد الثاني من دون الأول^{٥٠}، ويعرّف بعض الباحثين الانصياع بأنه "تغير في الاعتقاد أو السلوك استجابة لضغط الجماعة الواقعي أو المتخيل في الوقت الذي لا يطلب فيه من الفرد الإذعان للجماعة ولا يكون هناك سبب يبرّر التغير السلوكي الملاحظ لديه"^{٥١}. ويحمل هذا التعريف دلالات يمكن أن تفسّر جزءاً من ظاهرة الانصياع لخطاب التكفير والغلو، فهو يتضمن جانبي الاعتقاد والسلوك، كما أنه يشير إلى الامتثال الذاتي النابع من الفرد نتيجة عوامل معينة قد لا نجد لها تفسيراً منطقياً، ونحو ذلك. ولقد خلص الباحث إلى نتيجة وإن كانت مبدئية إلا أنها شديدة الأهمية وتتلخص في أن الانصياع لدى الفئات المتورطة بالتكفير والعنف يبدأ كـ "حالة" ثم يتحول إلى "سمة"، أي أننا أمام نوعين أو مرحلتين: "الانصياع الحالة" و"الانصياع السمة" ، وتفتقر هذه النتيجة إلى التحقق بالإضافة إلى التعرف على العوامل المحيطة بكل نوع أو مرحلة فضلاً عن بناء أدوات استكشاف كيفي وقياس كمي لتلك الظاهرة.

التكفير باعتباره مهدداً للأمن الفكري

يشدّد الكثير من الباحثين على محورية الأمن الفكري في تحقيق الأمن. مفهومه الواسع في المجتمع^{٥٢} ، فالحقيقة أن كل فعل شنيع لابد أن يكون مسبوقاً بأفكار شريرة أو معان رديئة. ومصطلح "الأمن الفكري" من المفاهيم الحديثة التي ما تزال في طور البلورة النظرية والمفاهيمية^{٥٣}، والحقيقة أنه مصطلح غامض لطبيعته التركيبية من جهة ، ولكونه يتضمن مفهومين معقدين: الأمن - الفكر من جهة ثانية. ونظراً لأن تتبع ذلك المصطلح بشكل تفصيلي يقع خارج حدود هذه الدراسة، فإنه يسعنا الاكتفاء ببعض النتائج المبدئية التي قد تعين الدراسات المستقبلية في عملية البلورة الدقيقة لذلك المصطلح المحوري. فبخصوص مفهوم "الأمن" فهو ضد الخوف،

50 تتضمن الدراسات التي تناولت الانصياع Conformity العديد من المسائل الهامة ومنها مسألة الميل للانصياع لدى بعض الأفراد والتفريق بين الطاعة والانصياع ونحو ذلك، Milgram, S. (1963), Behavioral study of obedience; Hoffman, L. (1977), Moral internalization: current theory and research، انظر: دكت ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٣-٢٣٩.

51 Zimbardo and Leippe, 1991؛ انظر: مكلفين وغروس (٢٠٠٢)، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، ص ٣-٢٤.

52 انظر مثلاً: رضوان الطلاع (١٤٢٠هـ)، نحو أمن فكري إسلامي، ص ١٩-٢٢ .

53 هنالك العديد من المحاولات البحثية لتعريف الأمن الفكري، انظر مثلاً: الحيدر (١٤٢٣هـ)، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، ص ١٣٦، وثمة ملاحظات على تلك المحاولة منها تركّز التعريف على الشق الأمني ، وإيراد مصطلح "الأمن" في التعريف، والاقتران على أجهزة الدولة في تحقيق الأمن الفكري وتغييب دور مؤسسات المجتمع بكافة تشكيلاتها، كما أنه تعريف طويل للغاية، وانظر أيضاً: المالكي، مرجع سبق ذكره ، وقد احتوى التعريف الذي اقترحه المالكي على بعض الملاحظات السابقة، وقد ساق تعريفاً إجرائياً للأمن الفكري، ص ١٣-١٤، ٤٩.

وهناك ما يشبه الإجماع بين الباحثين على ضرورة إشباع الحاجات النفسية والتي من أهمها الحاجة إلى الأمن باعتبارها ضمن المقومات الأساسية للحياة، ويعبر عن ذلك بمسميات مختلفة في مدارس علم النفس، فمدرسة التحليل النفسي تطلق على ذلك الثبات وخفض التوتر، أم المدرسة السلوكية فتسميه بالتوازن الحيوي، في حين يعتد الجشطالتيون بقانون الامتلاء. ويطلق بعض الباحثين على ذلك المعنى "الأمن النفسي"؛ والذي يعكس "الطمأنينة النفسية والانفعالية" وهو "مركب من اطمئنان الذات والثقة بها، مع الانتماء إلى جماعة آمنة"^{٥٤}، ويقرر بعض الباحثين بأن تعرض العقيدة أو الدين إلى الهجوم والانتقاد يتعارض مع مبدأ "الأمن النفسي"^{٥٥}، ويشير البعض إلى أن ذلك من الأسباب المؤدية للتكفير.^{٥٦} وأما مفهوم "الفكر" فإنه أكثر تعقيداً؛ حيث يشتبك مع عدة مفاهيم إشكالية كالثقافة والتفكير والتأمل، فضلاً عن كونه يتضمن العملية الذهنية للإنسان والنتيجة التي يتم التوصل إليها بموجب تلك العمليات، ويتمحور المعنى اللغوي للفكر حول أعمال العقل في شيء، والتفكير والتأمل، ويمكن القول بأن الفكر "ظاهرة عقلية تنتج عن عمليات التفكير القائم على الإدراك والتحليل والتعميم" ويتميز الفكر عن كل من العاطفة والإرادة، فالأولى تقوم على الميول العاطفية وأما الثانية فهي ترجح كفة الميول القائمة على أحكام تقويمية.^{٥٧}

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن الأمن الفكري مفهوم معقد ومتعدد الجوانب، غير أننا نشدد على أهمية أن يستخدم بمفهومه الواسع، لا مجرد الإشارة إلى بعض الجوانب الأمنية المباشرة، بل لاستيعاب الأبعاد الإنسانية والاجتماعية التي تطال التنمية والطمأنينة والاستقرار باعتبار تكاملها وترابطها بعضها مع البعض الآخر، ومع الأخذ في الاعتبار الملاحظات التي أوردناها على المحاولات السابقة للتعريف، نذهب إلى أن الأمن الفكري يشير إلى: "تأمين سلامة العقول ونتائجها ضد المهددات بكافة أنواعها؛ عبر الجهود الحكومية والأهلية بما يضمن اعتدالها وطمأنيتها ونموها وفعاليتها؛ لتحقيق غايات المجتمع وتطلعاته والحفاظ على استقراره ومقدراته في ضوء ثقافة المجتمع وثوابته". ومن خلال تحليلنا لظاهرة التكفير وما يرتبط بها يسعنا القول بأن تلك الظاهرة تعد إحدى المهددات الكبيرة للأمن الفكري في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ويشير البعض إلى من ضمن مهددات الأمن الفكري الخلل في مناهج التعليم أو وسائل الإعلام أو التكوين الثقافي أو التربوي^{٥٨}، ويشدد بعض الباحثين على الدور المحوري لمؤسسات التنشئة الاجتماعية الدينية والتربوية والتعليمية في تحقيق الأمن

54 الحارث حسن وغسان دايني (١٤٢٦هـ)، علم النفس الأمني، ص ١٤٥.

55 الحارث حسن وغسان دايني، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٥.

56 انظر مثلاً: السليمان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢.

57 بدوي (١٩٨٢)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٤٢٥؛ الزنيدى (١٤٢٢هـ) حقيقة الفكر الإسلامي، ص ٩-١١.

58 التركي (١٤٢٣هـ)، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به.

الفكري بجانب وسائل الإعلام^{٥٩}. ويتطلب الأمن الفكري عدة مقومات من أهمها تعزيز الثقافة الأمنية والتي تنظم مجموعة من المعارف والقيم والأفكار والاتجاهات والتي ترسخ الإيمان بأهمية الأمن في المجتمع والمحافظة عليه مع تقديم كل فرد ما يجب عليه تجاه تثبيت أواصر ذلك الأمن، مع ضرورة تفعيل دور الإعلام والأسرة والتربية الدينية في تعزيز التثقيف الأمني باعتباره أحد روافد الأمن الوطني^{٦٠}، كما يجب بذل جهود مكثفة لدمج التثقيف الأمني في المناهج الدراسية^{٦١}.

التشخيص باعتباره أداة منهجية للأمن الفكري

إذا نظرنا إلى التكفير على أنه "مرض فكري" يهدد الأمن الفكري في أي مجتمع، فإنه من المتقرر أن المرض يحتاج إلى تشخيص دقيق، ولذلك يمكن القول بأن التشخيص المنهجي من أهم أدوات الأمن الفكري، إذ أنه يمكن من فهم الظواهر الإنسانية والاجتماعية والوقوف على حجمها وفهم مسبباتها والأطراف ذات العلاقة والتأثير، وبحسب المنهجية العلمية لا يمكن الزعم بأن التشخيص لظاهرة التكفير مسألة جديدة في الفكر الإسلامي، فلقد باشرها - على سبيل المثال - الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بمباركة الخليفة الراشد الرابع رضي الله عنهم أجمعين، ففي فتنة الخوارج، طلب ابن عباس من الخليفة أن يفسح له مجالاً لكي يشخص الوضع القائم، حيث يقول ابن عباس: "لما اعتزلت الحرورية، وكانوا على حدقم، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين! "أبرد بالصلاة، لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال إني أتخوفهم عليك، قلت: كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما قدرت عليه من اليمانية، ثم دخلت عليهم، وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأثما ثفن الإبل، ووجوههم معلنة من آثار السجود، فدخلت، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدثنه، قال: قلت: أخبروني ماذا تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً. قلت: ما هن؟ قالوا: "...؛ وبعد أن استمع ابن عباس لآرائهم وقبل الشروع بالرد قال: "أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون، أترجعون؟ قالوا: نعم!" وبعد ذلك بدأ بالرد العلمي على الآراء والإشكاليات التي طرحوها، وقد كان يقول لهم بعد كل مسألة "أخرجت من هذه؟"، فيقولون: "اللهم نعم"، حينها ينتقل إلى المسألة الأخرى، وفي نهاية المطاف يقول: "فرجع منهم عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف، فقتلوا"^{٦٢}.

والنص السابق مكتنز بدلالات هامة حول الاعتناء بجودة منهجية التشخيص، ومن تلك الدلالات ما يلي:

جدول (١) بعض الدروس المستفادة من مناظرة ابن عباس مع الخوارج

بعض الأقوال المفتاحية (ذات)	بعض الدروس المستفادة
-----------------------------	----------------------

59 للاستزادة انظر: المالكي، مرجع سبق ذكره، ٣٠-٣٨، وانظر أيضاً: عبدالحى، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٨-٣٢٤.

60 حسن ودائني، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٨-٢١٢.

61 عبدالحى، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٣-٢٥٦.

62 الميثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مج ٣، ج ٦، ص ٢٤٢-٢٤٤.

دلالات هامة	
لما اعتزلت الحرورية	لم يفوت ابن عباس الإشارة إلى أن الخوارج كانوا "معتزلين"، وفي هذا دلالات وانعكاسات هامة، في جوانبها النفسية والاجتماعية والفكرية.
وكانوا على حدتهم	تجسيد لأوضاعهم الفكرية والنفسية، والتي يجب أن تراعى بشكل دقيق
أبرد بالصلاة ، لعلي آتي هولاء القوم فأكلمهم	كناية عن التأني في التعاطي مع المسائل العويصة.
قال إني أتخوفهم عليك	إشارة إلى صعوبة العملية وما قد يصاحبها من تحديات وصعاب.
فلبست أحسن ما قدرت عليه من اليمانية	فالمظهر في سياقات كذلك يعين على الإقناع والاحترام.
ثم دخلت عليهم	وهنا تأكيد على ضرورة المبادرة في التعاطي مع المسائل الشرعية والفكرية العويصة والتعامل مع الإشكاليات، حيث بادر هو بالذهاب إليهم.
فدخلت على قوم لم أر قوماً أشد اجتهاداً منهم.....	قدرة فائقة على التوصيف الدقيق مع التلبس بالعدالة وعدم التغاضي عن الإيجابيات والحسنات
لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدثه	لفت للأنظار إلى أن الخوارج - ومن شاكلهم - يختلفون في مستويات الغلو والتطرف ، كما يعكس وجود فئات مغرر بها من قبل بعض الرموز المتطرفة.
أخبروني ماذا تنقمون على ابن عم رسول ﷺ وختنه...	الحرص على تفهم الإشكاليات قبل التعاطي معها ، مع الحرص على التذكير بالأساسيات التي قد تحمل شيئاً من الإقناع للبعض حيث ذكرهم بمقام علي رضي الله عنه ومكانته في الإسلام.
قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون، أترجعون، قالوا نعم.	ملاءمة المنهجية العلمية المستخدمة عبر الاتكاء على الأدلة المقنعة والتي يعرفونها بأنفسهم ، مع استفراغ الوسع لاستخدام الأدلة العقلية بشكل مناسب، ويأتي بعد ذلك التأكد من مدى الجدلية لديهم في النقاش.
أخرجتُ من هذه؟" ، فيقولون: "اللهم نعم"	الحرص التام على إقناعهم تماماً ، لا مجرد إبراء الذمة.
فرجع منهم عشرون ألفاً	القدرة الفائقة على فهم الإشكاليات والتشخيص الدقيق للبواعث والمنطلقات بجانب معرفة أساليب الرد بموجب الأدلة العقلية والعقلية الملائمة

وبقي منهم أربعة آلاف، فقتلوا	إشارة إلى أنه يتعذر تحقيق كل النتائج من خلال أدوات وأساليب "الأمن الفكري"، مما يقضي بإتباع الأساليب المشروعة الأخرى.
------------------------------	--

الاتجاهات نحو التكفير

حظي موضوع "الاتجاهات" باهتمام كبير من قبل الباحثين في حقول معرفية متعددة كعلم النفس الاجتماعي والسلوك التنظيمي والإعلام، وشهدت الساحة البحثية تطوراً ملحوظاً في المداخل البحثية من حيث نظرتها إلى مفهوم الاتجاهات ومكوناتها وما يرتبط بذلك من أدوات القياس وتقنياته، وقد تأسست المداخل البحثية التقليدية على ما يسمى بـ "النموذج الأحادي"، والذي يعالج الاتجاهات كمكون واحد يتركز حول البعد الوجداني أو الانفعالي، بحيث تتراوح الاتجاهات بين خيارين: التفضيل وعدم التفضيل، مما أدى إلى الفشل في التعاطي مع بقية المكونات ذات التأثير في مسألة الاتجاهات⁶³.

في حين اتجهت المداخل الحديثة إلى تبني "النموذج ثلاثي المكونات"؛ الذي يعالج الاتجاهات باعتبارها تتكون من ثلاثة مكونات مترابطة وهي: (١) المكون المعرفي والذي يتضمن الاعتقادات والأفكار تجاه الموضوع أو الحدث، (٢) المكون العاطفي والذي يتجسد في المشاعر والانفعالات، (٣) المكون التربوي والذي يعكس النوايا والميول للعمل، وقد حظي النموذج الثلاثي باتفاق واسع من قبل الباحثين⁶⁴. وعلى الرغم من أن النموذج الثلاثي ضخم تعقيدات أكبر في أبحاث الاتجاهات، إلا أنه أكسب تلك الأبحاث عمقاً وشمولية أكبر، وتلزم الإشارة إلى أن بعض الدراسات قد توصلت إلى نتيجة هامة وتتمثل في أن المكون المعرفي هو الأكثر تأثيراً في تشكيل الاتجاهات⁶⁵، وهذه نتيجة منطقية من وجهة نظرنا حيث أن اعتقادات الإنسان وأفكاره هي المسؤولة عن تشكيل طرائق التفكير لديه والتي من شأنها هيئة الفضاء لتشكّل المشاعر باتجاه محدد يقود إلى ظهور نوايا سلوكية⁶⁶، وهنا نشير إلى أن البعض يطلق على المكون الثالث "المكون السلوكي"⁶⁷، ويرى الباحث بأن ذلك المسمى غير دقيق نظراً لأن "السلوك" يقع خارج نطاق الاتجاهات؛ التي تقف دائماً على حدود النوايا السلوكية والتي قد يتم ترجمتها إلى سلوك إذا توافرت ظروف مواتية.

63 في سياق المداخل التقليدية نجد تعريفات كثيرة للاتجاهات، ومنها تعريف (ثريستون وتشيف) حيث ذهب إلى أنها تعكس "تقيماً عاماً أو شعوراً بالتفضيل نحو موضوع معين"، Thurstone, L. and Chave, E. (1929), The Measurement of Attitudes, Likert, R. (1931), A Technique for the measurement of attitudes, انظر: دكت، مرجع سبق ذكره، ص ٩٢؛ وانظر أيضاً: صلاح الدين محمود علاّم، مرجع سبق ذكره، ص ٥١٧-٥٢١.

64 من أولئك الباحثين: Ehrlich, H. (1973), The Social Psychology of Prejudice; Gergen, K. and Gergen, M. (1981), Social Psychology, انظر: دكت، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

65 للمزيد أنظر: صلاح الدين محمود علاّم، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢٢.

66 للتوسع في هذه المسألة، انظر النموذج الذي اقترحه الباحث في دراسته: الإستراتيجية العربية في مؤسسات التعليم العالي: مدخل وصفي تحليلي لدراسة الإشكالية الثقافية، ص ٨٦.

67 انظر مثلاً: أبو مغلي وسلامة (٢٠٠٢)، علم النفس الاجتماعي، ص ٦٢؛ إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.

ومع شيوع استخدام النموذج ثلاثي الأبعاد في دراسة الاتجاهات ؛ يلفت النظر بعض الباحثين إلى أن أكثر مقاييس الاتجاهات ظلت تعتمد على النموذج الأحادي نظراً للصعوبة البالغة في عملية تصميم المقياس بناء على النموذج الثلاثي^{٦٨}، مما يؤكد على أهمية بذل جهود بحثية في سبيل بناء أدوات قياس تعتمد على النموذج الثلاثي، ونحسب أن ظاهرة التكفير تستدعي تضمين المكونات الثلاثة في عملية قياس الاتجاهات نحوها، نظراً لخطورة كل مكون وتأثيره في تشكّل تلك الظاهرة وتطورها، والآثار التي يمكن أن تترتب على تواجد تلك المكونات، ومنطقي أن الآثار تختلف بحسب حجم كل مكون وطبيعة تفاعله مع بقية المكونات الأخرى، وكل ذلك سينعكس على مستوى فهمنا لتلك الظاهرة وتفسيرها والتنبؤ بالسلوكيات المحتملة للمتورطين بالفكر التكفيري.

النموذج التشخيصي المقترح

ليس هناك تعريف متفق عليه للنموذج في الأدبيات العلمية، وعلى سبيل المثال يرى كرون أن النموذج هو تمثيل تجريدي مبسط للواقع ويحتاج بناؤه وتطويره إلى قدرة إبداعية خلاقية^{٦٩}. ويقترح الباحث تعريفاً أكثر تحديداً للنموذج، حيث يذهب إلى أنه "تمثيل تجريدي مبسط لشبكة العلاقات بين مجموعة من المفاهيم والعوامل والمتغيرات المتعلقة بظاهرة محددة في إطار منهجي محكم يتصف بالقدرة التفسيرية والتنبؤية"^{٧٠}. ويقرر البعض بأن النماذج تجسّر العلاقة بين النظرية والواقع، حيث أن النموذج تمثيل مبسط للواقع^{٧١}، وبناء على ذلك تتضح جوانب من أهمية عمليات النمذجة (أي عملية بناء النماذج) والمتمثلة في المساعدة في تبسيط الأطر النظرية وفي فهمها، كما تعين على ربط النظرية بالواقع العملي، وتيسير القيام بالخطوات الإجرائية في البحث. ويجب أن يتصف النموذج الجيد بأنه يعطي تمثيلاً مبسطاً للأطر النظرية وملائماً للظاهرة المدروسة، وأن يكون قابلاً للتطبيق البحثي، وذا قدرة تفسيرية (للأحداث الماضية) وقدرة تنبؤية (للأحداث المستقبلية)، مع الجاذبية في طريقة عرضه وتركيبه^{٧٢}. وقد سبق القول بأن ظاهرة التكفير تحتاج إلى جهود بحثية تراكمية من أجل بناء نماذج تعين على تشخيص تلك الظاهرة وتفسيرها، وقد جهد الباحث إلى تقديم نموذج تشخيصي مبدئي، من خلال الخطوات التالية:

68 زايد الحارثي (١٤١٢هـ)، بناء الاستفتاءات وقياس الاتجاهات، ص ٦٢؛ علام، مرجع سبق ذكره، ص ٥٥٧-٥٥٨؛ دكت، مرجع سبق ذكره، ص ٩٤-٩٥.

69 Krone, R. (1980), Systems Analysis and Policy Science

70 مصطفى أبو بكر وعبدالله البريدي (١٤٢٨هـ)، الاتصال الفعال، ص ٨٥.

71 Kenzevich, S. (1975), Administration of Public Education

72 مصطفى أبو بكر وعبدالله البريدي، مرجع سبق ذكره، ص ٨٤-٨٧.

١. حدد الباحث الغرض الرئيس للنموذج الذي يراود بناؤه والذي يتمركز حول تشخيص ظاهرة التكفير بوضعها الراهن مع الأخذ في الاعتبار السياقات الثقافية في المجتمع، أي أن هذا النموذج يجب أن يكون ذا قدرة تفسيرية لتلك الظاهرة.
٢. بدأ الباحث بقراءة تحليلية لبعض الأبحاث والدراسات العلمية والكتب حول ظاهرة التكفير والعوامل والظواهر المتعلقة بها، من أجل تكوين قاعدة للفهم العام لتلك الظاهرة وتحديد مبدئي لبعض المفاهيم الأساسية والعوامل ذات الصلة بالظاهرة، مع ملاحظة عدم استغراق الباحث في قراءة تلك الأدبيات كي لا تكون مؤطرة لتفكيره، ويعد ذلك ركيزة أساسية في البحث الكيفي^{٧٣}.
٣. بعد ذلك عمد الباحث إلى الاطلاع على الكثير من المقابلات التي أجريت مع بعض المتورطين في التكفير والغلو والعنف^{٧٤}، كما ناقش بعض الفئات القريبة من فكر التكفير أو الغلو أو التشدد، وذلك في بعض القضايا التي يمكن أن تتيح للباحث منافذ لاستكشاف زوايا جديدة في الظاهرة، لاسيما ما يتعلق بالجوانب النفسية والاجتماعية بما في ذلك طرائق التفكير وأنماطه.
٤. أخضعت تلك الأدبيات والمقابلات والمناقشات لعمليات تحليل منهجي، لتحديد بعض المفاهيم أو الأفكار الجديدة^{٧٥} التي يمكن أن تسهم في توضيح بعض العلاقات بين العوامل المؤثرة في تلك الظاهرة.
٥. بلورة أكثر تحديداً للمفاهيم والأفكار الجديدة ومحاولة وضع تصورات مبدئية للنموذج من خلال رسم شبكة العلاقات بين تلك المفاهيم والأفكار بناء على فكرة محورية، وقد تم الاستفادة من صورة مجازية عضوية تعكس الحالات المختلفة للفيروس، باعتبار أن الصور المجازية جزء من الإدراك بل التفكير الإنساني حول الظواهر المعقدة^{٧٦}، وقد تم الاستفادة من تلك الصورة المجازية نظراً للتشابه الكبير بين حالات الفيروس ومراحل تطوره وانتشاره مع الفكر التكفيري.

73 انظر مثلاً: ستراوس وكورين (١٤١٩هـ)، أساسيات البحث الكيفي، ص ٥٢-٥٣؛ زيتون (١٤٢٦هـ)، تصميم البحوث الكيفية، ص ٣٨-٣٩.

74 تم نشر العديد من الوثائق الهامة حول الاعترافات وما شابه ذلك في بعض الصحف، انظر مثلاً: صحيفة الوطن السعودية - الثلاثاء ٢١/١١/١٤٢٤هـ الموافق ١٣ يناير ٢٠٠٤م العدد (١٢٠١)، صحيفة الرياض، الرياض تناقش أسرار الخلية والتنظيم، تحقيق نشر في ست حلقات في شهر رمضان، ١٤٢٦هـ الموافق أكتوبر ٢٠٠٥م؛ صحيفة عكاظ، الخميس ٢٠/٠٩/١٤٢٧هـ الموافق ١٢/١٠/٢٠٠٦ العدد: ١٩٤٣.

75 تعد "الحساسية النظرية" من السمات الأساسية التي يتعين على الباحث أن يتصف بها ليكون قادراً على الوصول إلى مثل المفاهيم والأفكار الجديدة Emergent، وتشير تلك الحساسية إلى وضوح الرؤية لدى الباحث والقدرة على إعطاء معان للبيانات، وتتطلب التمييز والفرز بين ما هو جوهري وما هو غير جوهري، وبين ما له صلة بموضوع البحث في البيانات وما يمكن أن يستبعد، انظر مثلاً: ستراوس وكورين، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣-٤٩، البريدي وآخرون (١٤٢٩هـ)، المادة العلمية لبرنامج البحث النوعي، ص ٣٧.

76 للاستزادة حول علاقة الصور المجازية بالإدراك والتفكير، أنظر: المسيري (١٤٢٧هـ)، اللغة والجاز، ص ١٢-١٧.

٦. بناء على ما سبق، تم تحديد أربعة أنماط للتكفير ، بحيث يعكس كل نمط حالة معينة يتلبس بها الإنسان تجاه التكفير ، وتتضمن تلك الأنماط الوضع الصحيح أو المفترض، كما تشمل ثلاثة أوضاع منحرفة ، وقد تم وضع تلك الأنماط بطريقة تعكس الجانب التطوري.
٧. في ضوء نتائج تحليل الأدبيات والبيانات الكيفية تم وضع السمات الرئيسية لكل نمط ، مع وجوب ملاحظة أن تلك السمات تم وضعها بشكل مبدئي كإطار عام للأنماط.
٨. إنضاج المفاهيم والسمات ، ووضع التصور شبه النهائي للنموذج، والعمل على مراجعته وتطويره ، مع المحاولة من الإفادة من المناقشات مع بعض المتخصصين في القضايا المنهجية وقضايا الفكر الإسلامي.
٩. وضع النموذج في صورته النهائية، في ضوء المفاهيم والأفكار التي تم الخلوص إليها في المراحل السابقة. وبعد توضيح الخطوات المنهجية لبناء النموذج، نعيد التأكيد على أن ذلك النموذج هو مبدئي، مما يفتح المجال واسعاً لنقده وتطويره ، ليكون أكثر صلابة وأقوى تفسيرية، ويمكن توضيح ذلك النموذج كما يلي:

شكل (١) النموذج المقترح لتشخيص ظاهرة التكفير

<p>(٢)</p> <p><u>تكفير خامل</u></p> <p>فيروس تكفيري غير نشط (تكفير لاشعوري مع ميل للتشدد)</p> <p>* فهم مغلوط أو منقوص للنص الديني *</p>	<p>(١)</p> <p><u>لا تكفير منحرف</u></p> <p>الحالة السوية في التكفير (تكفير منضبط بالأحكام الشرعية)</p> <p>* فهم صحيح ومتكامل للنص الديني *</p>
<p>(٤)</p> <p><u>تكفير ناقل</u></p> <p>فيروس تكفيري نشط وناقل للعدوى (تكفير شبه شمولي مع استعداد أكبر للعنف)</p> <p>* فهم مغلوط أو منقوص للنص الديني *</p>	<p>(٣)</p> <p><u>تكفير فاعل</u></p> <p>فيروس تكفيري نشط غير معد (تكفير جزئي مع ميل أكبر للتشدد)</p> <p>* فهم مغلوط أو منقوص للنص الديني *</p>

كما هو واضح في الشكل السابق، يتكون النموذج من أربعة أنماط للتكفير، الأول ينبثق من فهم صحيح لفكرة صحيحة، ومن ثم فلا إشكال فيه، أما الأنماط الثلاثة فهي تدور حول فهم خاطئ أو فكرة خاطئة أو كليهما^{٧٧}، وفيما يلي شرح موجز لكل نمط:

١. الحالة السوية (لا تكفير منحرف): وهذا النمط يعكس الوضع المفترض أو الصحيح، أي أنه يصور الفئة التي تتعامل مع التكفير على أنه حكم شرعي في ضوء ضوابط منهجية محددة، وهو يشمل الفئة العاملة بتلك الضوابط بشكل دقيق وتفصيلي؛ وتلك الفئة التي تتفهمها بشكل عام، أي تلك التي لا تدرك تفاصيل تلك الضوابط ولكنها تؤمن بأن التكفير مسألة عقدية خطيرة لا يجوز أن يخوض فيها غير العلماء الكبار والجهات القضائية المختصة.

٢. تكفير حامل: يشير إلى ذلك النوع من التكفير الذي يستبطنه الإنسان داخليا أو لا شعوريا ولا يجرؤ نفسيا ولا فكريا أن يظهره في سطح شعوره؛ فضلا عن إظهاره للآخرين، بل إن صاحبه قد لا يشعر بوجوده أصلا، ويعني هذا أنه تكفير مبطن يقبع في اللاشعور السحيق، ومبعث الإصابة به الميل النفسي للتشدد مصحوب بفهم مغلوط أو منقوص لبعض النصوص الشرعية وعدم القدرة على الجمع بين الأدلة في إطار تكاملي، يعضد بعضها بعضا، تنظيرا و تطبيقا، فهو يتكئ على مجموعة صحيحة من النصوص الشرعية (قرآنا وسنة) ولكنه يفشل في تحقيق مناط تلك النصوص. وقد يظل هذا التكفير كامنا في اللاشعور؛ مقتصرًا على اتجاهات سلبية دفينية حيال بعض القضايا والمسائل أو الشخصيات؛ كمن يحمل "فيروسا خاملا" أو كامنا دون الإصابة به أو ظهور أعراضه؛ وقد ينشط الفيروس التكفيري من جراء عوامل محرضة أو محفزة، وبدهي أن من يتلبس بذلك اللون من التكفير المبطن لا يكون قادرا على حمله إلى الآخرين، وهذا لا يعني أنه لا ينقل إليهم قدرا أو آخر من اليأس النفسي أو التشویش الفكري.

٣. تكفير فاعل: يعكس الحالة التي يحمل فيها الإنسان فيروسا تكفيريا نشطا يصيبه بالداء فتظهر أعراضه الفكرية والنفسية عليه، وعادة ما يكون تكفيراً جزئياً؛ يتوجه إلى فئة محددة كبعض المثقفين والكتاب والمسؤولين الكبار، والفيروس التكفيري مع أنه نشط إلا أنه غير معد في أغلب حالاته، فهو لا ينتقل إلى الآخرين، نظراً لأن صاحبه لا يتوفر في العادة على قدرات فكرية ولا كارزما شخصية تمكنه من التأثير الناجح على من حوله في مسائل التكفير وأحكامه التطبيقية على الفئة التي يكفرها. ويتسم صاحب "التكفير الفاعل" بدرجة أعلى من الميل النفسي للتشدد في الجوانب العقدية والفقهية والسلوكية والتي قد تكون مصحوبة بشيء من الانعزال.

٧٧ للاستزادة حول ما نقصده بـ "فهم صحيح" و"فكرة صحيحة" و"فهم خاطئ" و"فكرة خاطئة"، انظر النموذج الوصفي التحليلي التفسيري للتشخيص الثقافي الذي اقترحه الباحث في دراسة سابقة: البريدي (٢٠٠٧)، مرجع سبق ذكره، ص ٩٠-٩٥.

٤. تكفير ناقل: يجسد الحالة التي لا يكون فيها الفيروس التكفيري نشطاً فحسب بل يكون ناقلاً للعدوى التكفيرية للآخرين، وهنا الخطورة الكبرى، لاسيما أن التكفير الناقل قد يكون تكفيراً شبه شمولي، فقد يشمل الحكام والعلماء والمثقفين والكتاب والعسكريين ونحوهم، كما أن أصحابه لديهم قدرات فكرية هائلة وكارزما شخصية؛ تؤهلهم لأن يختاروا بنجاح الوسط الذي ينشطون به فيروسانهم التكفيرية مع استعدادهم النفسي لخوض عشرات المحاولات والتجارب، سواء بشكل شفهي مباشر أو بوسائط كتابية أو إعلامية بالطرق المختلفة. ويتصف أصحاب "التكفير الناقل" بتشددهم المطلق في الجوانب العقدية والفقهية والسلوكية.

وكما أومأنا سابقاً، فإن السمات السابقة للأنماط (لاسيما الأنماط الثلاثة الأخيرة)، إنما أوردت بشكل عام ومبدئي أيضاً، إذ أنه لا يمكن الوصول إلى سمات دقيقة وحاسمة إلا من خلال تنفيذ دراسات كمية وتطبيقية تستهدف تحديد مثل تلك السمات، ومنها على سبيل المثال دراسات:

- لتحديد أنماط التفكير لكل نمط في النموذج المقترح - للتعرف على أنماط التعلم للأنماط المختلفة في النموذج
- لتحديد السمات الشخصية وأنماط الشخصية لكل نمط - لبحث عوامل الصحة النفسية/العقلية وما يرتبط بها من سمات - لاستكشاف مركز الضبط (ضبط داخلي أو ضبط خارجي) لكل نمط - لتحديد الميول العلمية والمهنية - لتحديد أنماط الهوية ومراحل تشكلها في ضوء أنماط النموذج.

الإطار البحثي المقترح لدراسة ظاهرة التكفير

يتسم البحث العلمي بالسعة والتنوع من حيث أهدافه وطبيعته ومناهجه وطرق تصميمه وأدوات جمع البيانات وتحليلها، وتتضمن الأدبيات العلمية في مناهج البحث العلمي العديد من الآراء والاجتهادات لتصنيف البحث العلمي وذلك بالنظر إلى الجوانب السابقة^{٧٨}. ومن تصنيفات البحث العلمي التي تلائم الدراسة الحالية أن يتم تصنيفه بحسب أهدافه ونوعية البيانات التي يتعامل معها إلى: أبحاث كمية (نوعية)، وأبحاث كمية.

وسوف نعرض لماهية هذين النوعين وأهدافهما ومجالات استخدامهما وأبرز الفروق بينهما، مع الإشارة إلى أنه ليس بمقصودنا العرض التحليلي التفصيلي النقدي لتلك الأنواع نظراً لخروج ذلك عن أهداف الدراسة الحالية؛ مما يدفعنا إلى تجنب الدخول في مناقشة الإشكاليات أو الجدليات المتعارف عليها في أدبيات مناهج البحث، لاسيما في الأبعاد الإستمولوجية - المعرفية - والفلسفية^{٧٩}، عوضاً عن ذلك فسوف نعرض للمعلومات

78 انظر مثلاً: بدر (١٩٩٦)، أصول البحث العلمي ومناهجه، ص ٢٣-٣٣؛ أبو غلام (١٤٢٢هـ)، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ص ٦٥-٩١؛ قنديلجي، البحث العلمي، ص ٤٢-٤٩.

79 للاستزادة حول الأبعاد الإستمولوجية والفلسفية انظر على سبيل المثال: سليمان، (٢٠٠٣)، المناهج النوعية والكمية، ص ١٨١-٢٢٢؛ زيتون (١٤٢٦هـ)، مرجع سبق ذكره، ص ١٠-٢٦؛ أبو غلام، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٨-٣٤١؛ Tashakkori, A. and Teddlie, C. (1998), Mixed methodology, p 3-19; Sarantakos, S. (1998), Social Research, p. 39-62; Bryman, A. (1996) Quantity and Quality in Social Research, 11-71

الأساسية لهذين النوعين وفق ما استقر عليه الرأي في تلك الأدبيات، وما ترجّح لدى الباحث. وقبل العرض، نشير إلى أن الهدف الأساسي من وراء ذلك هو بلورة إطار منهجي لدراسة ظاهرة التكفير من خلال استخدام طرق بحثية متعددة، من أجل الإفادة من مزايا ونقاط القوة في كل طريقة، وتعظيم قدراتنا على استخدام كافة البيانات والمعلومات المتاحة عن تلك الظاهرة، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على فهمنا لتلك الظاهرة من حيث ماهيتها ومراحل تشكّلها وأسبابها والعوامل والظواهر المرتبطة بها والمؤثرة فيها ونتائجها وطرائق علاجها. كما أن ذلك الإطار يعيننا على الاستفادة من الخبرات المتنوعة للباحثين في كافة التخصصات، بما في ذلك إجراء أبحاث مشتركة بين باحثين ينتمون إلى تخصصات علمية مختلفة، وهو اتجاه بحثي حديث يُعرف عادة بالأبحاث متداخلة التخصصات⁸⁰، ولقد انبثقت أهمية ذلك الاتجاه من حقيقة تعقّد الظواهر الاجتماعية والإنسانية وتشابك العلاقات فيما بين العوامل المؤثرة فيها، ومن ثم صعوبة تفرد تخصص علمي في التصدي لمثل تلك الظواهر، ويمكن تنفيذ مثل تلك الاتجاه بعدة طرق منها:

- ١- تشكيل فريق بحثي مكوّن من باحثين ينتمون إلى تخصصات متنوعة للقيام بأبحاث مشتركة.
 - ٢- تكوين برنامج بحثي يشترط تطبيق فكرة تداخل التخصصات في الأبحاث التي يمولها أو يشرف عليها.
 - ٣- إتاحة بيانات ومعلومات لعدد من الباحثين الذين يستخدمونها وفق تخصصاتهم وأدواتهم المنهجية^{٨١}.
- وفي سبيل تحقيق ذلك الهدف، فسوف نعمل على تقريب تلك الطرق البحثية للدارسين والباحثين غير المتخصصين وبالذات في العلوم الشرعية، مما يشجع بعض المتخصصين في تلك العلوم على استخدام تلك الطرق في دراساتهم في ضوء أدواتهم المنهجية ومنظومتهم المفاهيمية وحصيلتهم العلمية الشرعية، مع التأكيد على أهمية تنفيذ أبحاث مشتركة وفق الأبحاث متداخلة التخصصات، لاسيما أن ظاهرة التكفير في غاية التعقيد والتشابك. ولإنجاز ذلك فقد قمنا بما يلي:

- (١) التعريف المكثّف بكل من البحث الكيفي والبحث الكمي ومزاياهما في سياق ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من العوامل والظواهر الأخرى.
- (٢) تحديد المجالات التي يُفضّل فيها استخدام كل من البحث الكيفي والبحث الكمي، مع إعطاء أمثلة بالتطبيق على ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من الظواهر الأخرى.
- (٣) تحديد واستعراض أهم الطرق البحثية الكيفية والكمية الملائمة لدراسة ظاهرة التكفير وما يرتبط بها.
- (٤) الإشارة إلى بعض المراجع العلمية الهامة، التي يمكن الرجوع إليها عند الرغبة في الاستزادة والتعمق في الجوانب الفلسفية والإجرائية في مجال البحث العلمي.

التعريف بالبحث الكيفي والبحث الكمي

80 يسمى باللغة الإنجليزية Multi-disciplinary Research، انظر مثلاً: عبدالحى، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤.

81 Hakim, C. (1997), Research Design, p. 147-150

ليس هناك تعريف متفق عليه للبحث الكيفي ولا للبحث الكمي، ونحن هنا لا نروم إعطاء تعريفات حاسمة، نظراً للصعوبة البالغة والتعقيد الشديد، مما يجعلنا نتوجه إلى التوصيف المختصر لهذين النوعين كما يلي:

البحث الكيفي يبتدئ بأسئلة عامة تسعى إلى فهم جوهر الأشياء في الظاهرة المبحوثة واستكشاف العلاقات التشابكية المعقدة، ويتم بلورة تلك الأسئلة في ضوء نتائج تحليل البيانات الكيفية (كلمات وصور وليست أرقام) التي يقوم الباحث بتجميعها وتحليلها، ويتم جمع بياناته بثلاثة أساليب هي: الملاحظة والمقابلة وفحص الوثائق بناء على عينات عمدية أو قصدية (غير عشوائية) تتميز بالثراء من حيث السعة والعمق، مع التركيز على تفسير المعاني والدلالات التي يتم تكوينها في السياقات الثقافية لتلك الظاهرة مما يجعل الباحث يترى في مسألة تعميم النتائج وذلك بحسب التشابه في الظروف والأوضاع الثقافية، ولا يلتزم الباحث بتصميم صارم فيما يتعلق بجمع البيانات أو تحليلها أو كتابة التقرير الخاص بالنتائج والتوصيات^{٨٢}.

أما البحث الكمي فإنه يبتدئ بأسئلة محددة تستهدف وصف العلاقات بين العوامل وذلك بقياس المتغيرات الخاصة بالظاهرة المبحوثة؛ اعتماداً على التحليل الإحصائي لبيانات كمية (أرقام) يتم الحصول عليها باستخدام عينة تؤخذ بشكل عشوائي كي تمثل مجتمع البحث بغية تعميم النتائج، ويتم جمع بياناته من خلال الاستبيانات والاختبارات المقننة التي يتم إعدادها في ضوء نظرية أو نموذج محدد يصف الظاهرة أو يفسرها، وفي حالة عدم وجود مثل تلك النظرية أو النموذج^{٨٣} فإنه يتم اللجوء إلى نتائج الدراسات السابقة، ويلتزم الباحث بتصميم صارم فيما يتعلق بكيفية جمع البيانات وطرائق تحليلها وإعداد التقرير المكتوب لنتائج البحث وتوصياته^{٨٤}.

وبالنظر إلى المسائل المتعلقة بتصميم البحث ومراجعة الأدبيات العلمية وطبيعة البيانات التي يتم جمعها وتحليلها في كل من البحث الكيفي والبحث الكمي؛ فإنه يمكن القول بأن البحث الكيفي يقوم على ممارسة منهجية تبني تصميمًا بحثيًا يتصف بقدر كبير من المرونة؛ ويتأسس على ممارسة تأملية استقرائية استنتاجية بخصوص

82 انظر مثلاً: زيتون (١٢٢٤هـ)، منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي، ٢٨١-٣٣٥؛ أبو علام، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٧-٣٣٨؛ عبيدات وأبو السميد (١٤٢٣هـ)، البحث العلمي - البحث النوعي والبحث الكمي، ص ١٥٨-١٦٦؛ Sarantakos, S. Op. Cit., p. 55-59; Babbie, E. (2001), The Practice of Social Research, p. 281-290

83 هنالك فرق بين مصطلحي "النظرية" و"النموذج"، وثمة من لا يفرق بينهما، وعند التفريق يسود الرأي الذي يذهب إلى أن النظرية تعبر عن حالة متقدمة أو نهائية من العلم؛ حيث تقوم النظرية بتنسيق المعرفة الإنسانية في مجال معين وتنظيمها بطريقة تمكن من تفسير الظاهرة والتنبؤ بها وفق إطار منهجي ومفاهيمي محكم غير قابل للتعديل، أما النموذج فهو إطار منهجي يجهد لأن ينقل الواقع بعلاقاته الجوهرية، وهو قابل للتعديل والتطوير. وما سبق يجعلنا نفضل استخدام مصطلح نموذج فهو الأكثر دقة في العلوم الاجتماعية التي لا يمكننا الزعم بأننا قادرون على بناء نظريات وفق ذلك المعنى الصارم. للاستزادة أنظر: أبو علام، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥-٢٨؛

Peter (2001), The Routledge Critical Dictionary of the New Cosmology, p. 111

84 انظر المراجع التي سبق ذكرها في الهامش رقم ٨٢.

البيانات المتنوعة والمبعثرة التي يتم جمعها وتحليلها بطريقة منهجية خلافة في سياقها الثقافي الذي يكثر العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ مما يجعله قادراً على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والإنسانية المعقدة؛ كما أنه يسعى إلى عدم التأثر بالأدبيات العلمية عبر قراءات مستمرة تجهد لأن تستوعب تلك الأدبيات بشكل إجمالي؛ مع إعطاء وقت كاف لعملية جمع البيانات وتنظيمها واختزلها وتحليلها؛ كل ذلك يتيح للباحث فضاءات رحبة تمكنه من حضانة الأفكار وزيادة احتمالات إشراق الأفكار الإبداعية^{٨٥}. وهنا نشير إلى وجوب ملاحظة غلبة البحث الكمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية في عالمنا العربي، حيث يشكل النسبة العظمى من أعداد الأبحاث العلمية، وثمة دلالات كثيرة لذلك^{٨٦}.

وفي هذا السياق، يجدر بنا استدعاء حقيقة ضعف الممارسة الإبداعية بل وضعف النتاج الإبداعي في العلوم الاجتماعية والإنسانية في عالمنا العربي والإسلامي، الأمر الذي أدى إلى ظاهرة استيراد النظريات والنماذج الغربية واستخدامها في تشخيص وفهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والإنسانية المعقدة والتي تتجاهل السياق الثقافي لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، وقد تزايدت أعداد الأبحاث العلمية "الغربية" التي تشدد على خطورة ذلك النهج، لأنه يؤدي إلى نتائج مضللة وغير دقيقة، وقد أكدت تلك الأبحاث على ضرورة مراعاة "الخصوصية الثقافية" للمجتمعات، وقد اقترح بعض الباحثين مصطلح "الأعراض الثقافية" أو "المتلازمات الثقافية" ويقصد به الأنماط المشتركة من الاتجاهات والمعتقدات والتفضيلات والعادات والقيم التي تنتظم في إطار يؤمن به مجموعة من الناس؛ يتكلمون لغة واحدة ويعيشون في بقعة محددة^{٨٧}، ولم يقتصر الأمر على تلك الأبحاث، بل تم بلورة حقول معرفية كاملة تتأسس على وجوب مراعاة تأثير الثقافة والحضارة على السلوك الإنساني وتفكيره وإدراكه ودوافعه ومشاعره، وآلية التطوير الذاتي والتفاعل الاجتماعي، ومن أهم تلك الحقول "علم النفس الثقافي المقارن"^{٨٨}.

وإذا تقرر كل ما سبق، فإنه يكون بديهياً أن نتوجه بالقول بأهمية بذل مزيد من الجهود البحثية في مجال البحث الكيفي، وهذا لا يعني الدعوة إلى هجر البحث الكمي أو التقليل من أهميته، وإنما التأكيد على إعطاء الوزن الملائم للبحث الكيفي، لاسيما أننا نحتاج إلى بناء وتطوير نظريات ونماذج ومصطلحات تمكننا من تشخيص الظواهر المعقدة وفهمها وتفسيرها بشكل دقيق في ضوء ثقافتنا وإطارنا الحضاري. كما أنه لا بد من الإشارة إلى

85 انظر مثلاً: حجر (٢٠٠٢)، معايير شروط الموضوعية والصدق والثبات: دراسة نظرية، ص ١٤١؛ البريدي وآخرون (١٤٢٩هـ)، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤-٣١

86 كمؤشر على غلبة الأبحاث الكمية، توصلت دراسة علمية إلى أن نسبة الأبحاث الكمية بلغت ٨٦% في الفترة ما بين ١٩٨٠-١٩٩٣م في مجال بحوث الإبداع والابتكار وتوصلت دراسة أخرى إلى أن نسبة الأبحاث الكمية في الفترة ما بين ١٩٩٣-٢٠٠٢م لامست ٧٥% في نفس المجال السابق، انظر على التوالي: الشرفاوي (١٩٩٩)، الابتكار وتطبيقاته، ص ٣٨٣-٣٨٦؛ عبدالله البريدي (١٤٢٩هـ)، الإطار المفاهيمي والمؤسسي للتأهيل المعتمد في مجال الإبداع والموهبة، ص ٦٩-٧٢.

87 "الأعراض الثقافية" أو "المتلازمات الثقافية" Cultural Syndromes، أنظر: Triandis, H. Op. Cit.

Shiraev E. and Levy D, Op. Cit 88

أنه يمكن تنفيذ دراسة علمية تتبنى البحث الكيفي والبحث الكمي للإفادة من مزايا وإيجابيات وأدوات كل منهما ، ويعرف ذلك بـ "النهج العملي" أو "النهج المختلط" ، ويتجاوز ذلك النهج أطروحة التعارض بين الأطر المعرفية - الإستمولوجية - بين البحث الكيفي والبحث الكمي^{٨٩}.

مجالات استخدام البحث الكيفي والبحث الكمي

لكل نوع بحثي مجال يفضل استخدامه فيه ، ويمكن التعرض لبعض تلك المجالات بشكل مختصر^{٩٠} ، وتحت كل مجال بحثي تم وضع مثال لأبحاث علمية مقترحة في إطار موضوع الدراسة الحالية، وذلك وفق الجدول التالي:

جدول (٢) بعض المجالات المفضلة لاستخدام البحث الكيفي والبحث الكمي مع أمثلة تطبيقية

م	مجالات استخدام البحث الكيفي	مجالات استخدام البحث الكمي
١	استكشاف العلاقات المعقدة في الظواهر الإنسانية والاجتماعية <u>مثال:</u> استكشاف العلاقات المعقدة بين ظاهرة التكفير والسمات الشخصية وأنماط التفكير والمشاكل المرتبطة بالهوية.	التعرف على العلاقات الارتباطية أو السببية بين بعض العوامل (المتغيرات). <u>مثال:</u> العلاقة بين استخدام الإنترنت والقراءة ، والمتغيرات الشخصية لدى الفئة المتورطة بالتكفير والتفجير (عينة من الموقوفين أمنياً).
٢	استكشاف المفاهيم ووجهات النظر في سياقها الثقافية وأسباب تشكلها <u>مثال:</u> المفاهيم الخاصة بالأعمال الجهادية التي يراها بعض الشباب كواجب شرعي لنصرة المسلمين وارتباطها بالتكفير.	التعرف على اتجاهات أو آراء معينة <u>مثال:</u> دراسة مسحية لاتجاهات طلاب الثانوية العامة حول المواقع المتطرفة في الإنترنت.

89 النهج العملي أو النهج المختلط يعرف باللغة الإنجليزية بـ Mixed Methods , Triangulation ، أما أطروحة التعارض فقد تأسست على ما يعرف بـ "حرب الباراديم" Paradigm War والتي تشير إلى نزاع معرفي في الفلسفة الغربية التي تدمن فكرة الصراع ، للمزيد حول تلك المسائل يمكن الرجوع إلى: زيتون ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٢-٢٦١ ، Tashakkori, A. and Teddlie, C., Op. Cit. , p. 40-60
90 انظر مثلاً: ستراوس وكورين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢-٢٤ ؛ زيتون (١٤٢٦هـ) ، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩-٥٥؛ أبو علاّم، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٧-٣٤٣ ، Punch (1999), Introduction to Social Research, p. 65-86, 138-168.

٣	دراسة القضايا ذات الحساسية أو الخطورة العالية <u>مثال:</u> ملاحظة ودراسة سلوك الفئات المتورطة بالفكر التكفيري في مراحله الأخيرة	دراسات الرأي العام <u>مثال:</u> قياس الرأي العام السعودي بخصوص طروحات المنظمات التي تتبنى الغلو والتكفير.
٤	بناء نظرية أو نموذج حول ظاهرة محددة بشكل استقرائي استنتاجي <u>مثال:</u> وضع نظرية لتفسير المراحل الفكرية لمرتكبي جرائم التفجير والعنف	التحقق من نظرية أو نموذج معين بشكل استنتاجي (اشتقاق فرضيات من النظرية / النموذج والتحقق منها) <u>مثال:</u> اتجاهات طلاب الجامعة حيال أعمال العنف في ضوء نظرية الإحباط (إحدى النظريات النفسية للعنف/الإرهاب)

ويتبين لنا من الجدول السابق أن البحث الكيفي يكون ملائماً لاستكشاف العلاقات التشابكية والمركبة في الظواهر المعقدة والقضايا الحساسة أو الخطرة مع الأخذ في الاعتبار المعاني والدلالات التي يتم تكوينها داخل السياق الثقافي والاجتماعي للشريحة المبحوثة، مما يمكننا من الحصول على فهم متعمق للظواهر، بل قد يقودنا البحث الكيفي إلى بناء نموذج لتفسير ظاهرة ما أو تشخيصها. أما البحث الكمي فيمكن استخدامه للحصول على وصف عام للظواهر الاجتماعية والإنسانية أو قياسات للرأي العام والتعرف على طبيعة العلاقات بين العوامل (المتغيرات) لتحديد درجة ارتباطها أو مؤشرات السببية فيما بينها، كما أن البحث الكمي يفيدنا في التثبت من صحة أو دقة نظرية أو نموذج معين. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن البحث الكيفي يتطلب جهداً أكبر ووقتاً أطول لجمع البيانات وتحليلها بغية الوصول إلى النتائج المنشودة.

وبالنظر إلى تعقد ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من ظواهر الغلو والعنف، فإنه يمكن القول بأن ثمة حاجة ماسة إلى أن نولي البحث الكيفي عناية كبيرة، فهو الأكثر ملاءمة للحصول على فهم متعمق لتلك الظواهر، ليس ذلك فحسب بل تشتد حاجتنا إلى بناء نماذج تفسر تلك الظواهر وتشخصها في ضوء الإطار الثقافي والحضاري في عالمنا العربي والإسلامي، إذ ليس سائغاً منهجياً الاستمرار في استخدام نظريات ونماذج تم بناؤها في بيئات ثقافية أخرى، وهنا نشير إلى أن البحث الكيفي يقوم على ما يسمى بـ "الانتقالية"^{٩١} وهو معيار

٩١ الانتقالية باللغة الإنجليزية Transferability، وأصل التسمية جاءت من كون البحث الكيفي يراعي الحدود الفاصلة بين المجتمعات والثقافات إذ أنه لا يمنح أي بحث علمي أحقية نقل نتائجه إلا بعد التأكد من وجود قدر كاف من التشابه في الأوضاع الثقافية، ويعد ذلك مسوغاً هاماً لإعطاء البحث الكيفي وزناً أكبر من الأهمية لدراسة الظواهر المعقدة التي تشكل في إطار ثقافة المجتمع وقيمه، ومنها ظواهر التكفير والغلو والعنف، للتوسع حول مفهوم الانتقالية، انظر: زيتون (١٤٢٤هـ)، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٧-٢٤٨.

الصحة أو الصدق الخارجي ، ومؤدى ذلك رفض استخدام أي نظرية أو نموذج تم جلبه من بيئات أخرى تختلف في أطرها الثقافية والحضارية.

وهذا لا يعني التقليل من أهمية البحث الكمي، بقدر محاولة إعطاء أوزان مناسبة لكل من البحث الكيفي والكمي، وبدهي أن اختيار أي منهما يعتمد بشكل جوهري على طبيعة الدراسة وهدفها والنتائج المتوخاة. مع إعادة التأكيد على أن البحث العربي الاجتماعي والإنساني يعاني من طغيان المناهج الكمية؛ الأمر الذي أفقدنا القدرة على معالجة الكثير من الإشكاليات الثقافية في مشاريعنا البحثية نظراً لعدم اتساع حدود أبحاثنا "الكمية" إلى تعقيدات المسألة الثقافية^{٩٢}.

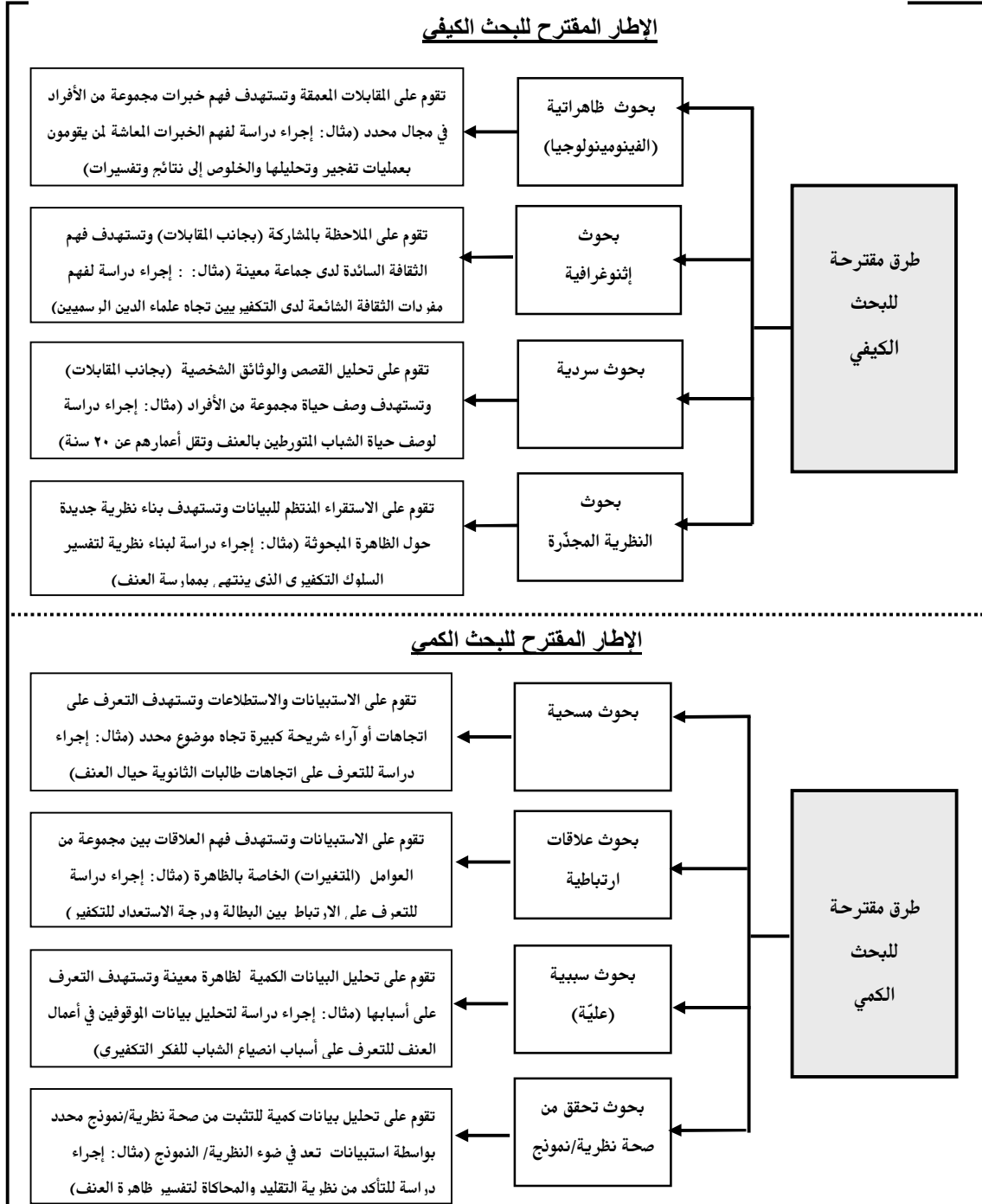
أهم الطرق البحثية المقترحة

بعد الاطلاع التفصيلي والتحليل الدقيق للطرق البحثية الكيفية والكمية، خلصنا إلى اختيار أربعة طرق بحثية تحت كل نوع نرى أنها ملائمة وفعالة لدراسة ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من العوامل والظواهر الأخرى؛ وتمشياً مع العرض المختصر للإطار المنهجي للبحث الكيفي والبحث الكمي، فإنه سوف يتم التعرض لكل طريقة بحثية مقترحة ، من خلال شكل توضيحي مبسط (الشكل رقم ٢)، يتضمن جزأين: الأول مخصص للبحث الكيفي والآخر مخصص للبحث الكمي، مع توفير معلومات أساسية مختصرة عن:

- مفهوم الطريقة البحثية.
- أداة جمع البيانات الرئيسية بكل طريقة.
- إعطاء مثال لمشكلة بحثية مقترحة.

92 عبد الله البريدي (٢٠٠٧)، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١.

شكل (٢) إطار بحثي مقترح للبحث الكيفي والكمي المقترحة لدراسة ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من عوامل وظواهر



بناء أدوات الاستكشاف والقياس

في هذا المحور، لا يستهدف البحث بناء أو تقديم أدوات استكشاف أو قياس نهائية، بقدر ما يستهدف تفعيل بعض الأطر البحثية في سياق ظاهرة التكفير، لعل في ذلك عوناً للباحثين على مزيد من الالتزام بتلك الأطر من جهة، وتعزيز الانتفاع من أدوات جمع البيانات من جهة ثانية، وقد يتطلب ذلك الإشارة إلى أن عدداً من الدراسات العلمية قد توصلت إلى أن عدم التصميم الجيد للأسئلة أو عدم الجودة أو الدقة في طرحها يؤدي إلى

الحصول على إجابات غير صحيحة أو مضللة، وقد أكدت تلك الدراسات على أن الحل يكمن في تطوير استخدامنا لأدوات جمع البيانات بكافة أنواعها وزيادة مستويات فعاليتها التطبيقية أي الجانب المهاري للباحثين، وليس في هجرها أو الاستغناء عنها^{٩٣}. ومن الأخطاء الفادحة في البحث الكمي في البيئة العربية ما أشار إليه البعض حول تضخم "الاستبيان" كأداة جمع بيانات لدرجة أنه يصبح لب البحث وبدايته ومنتهاه^{٩٤}.

وسوف يكون عرضنا لأدوات الاستكشاف الكيفي والقياس الكمي في جزءين:

الجزء الأول: أدوات استكشاف كيفي: وسوف نعرض لأهم الاعتبارات المنهجية في ضوء افتراض تنفيذ دراسة كيفية معينة (بالتطبيق على البحث الظاهري).

الجزء الثاني: أدوات قياس كمي: وسوف نتناول أهم النتائج التي تم الخلوص إليها بشأن إعداد استبيان مبدئي لاستكشاف أنماط التكفير وقياس الاتجاهات نحو التكفير في ضوء النموذج المقترح في هذه الدراسة.

الجزء الأول: أدوات استكشاف كيفي

يمكن جمع بيانات ثرية عن ظاهرة التكفير والعوامل والظواهر المرتبطة بها من خلال أدوات البحث الكيفي (أدوات استكشاف كيفي) التي تتضمن: المقابلة - الملاحظة - تحليل الوثائق. ويهمنا في هذا السياق التأكيد على بعض الاعتبارات العلمية التي يجب مراعاتها بشكل دقيق عند استخدام تلك الأدوات وذلك لضمان سعة البيانات وعمقها عن تلك الظاهرة، على نحو يمكن من تحقيق أهداف البحث الكيفي. ولكي يكون العرض مفيداً وذا دلالة أكبر فقد يكون ملائماً أن يكون التطبيق على البحث الظاهري في ضوء موضوع الدراسة مع محاولة إدماج بعض الأمثلة التي أوردناها في الشكل رقم (٢)، وبشكل أكثر تحديداً فإن التطبيق سيتم على دراسة تستهدف فهم الخبرات المعاشة لمن يتورطون في الفكر التكفيري وأعمال العنف، ومن ثم تحليلها والخلوص إلى نتائج وتفسيرات، وقد مر بنا بأن الأداة الأساسية في مثل ذلك البحث هي "المقابلات الكيفية"، وسوف يكون تناولنا لهذه المسألة كما يلي:

١. بخصوص أداة الاستكشاف الكيفي: يتوجب التأكيد على أن الباحث يعتبر العامل الأساسي في

الاستكشاف الكيفي، لدرجة أن بعض المنظرين في البحث الكيفي يرون بأنه هو أداة جمع أو توليد البيانات كما هي في السياق الثقافي للمبحوثين^{٩٥}، مما يؤكد على أهمية أن يستشعر الباحث ذلك الأمر

93 انظر مثلاً: Cicourel, A. (1982), Interviews , Surveys and the Problem of Ecological

Validity; Pawson, R. (1989), A Measure for Measures

94 زاهر (١٩٩٥)، تقويم أداء الأستاذ الجامعي: الأداء البحثي كنموذج، ص ٣٩-٦٨.

95 بعض المنظرين يفضل استخدام كلمة "توليد" على كلمة "جمع" للبيانات الكيفية، وذلك للدور الكبير للباحث في ذلك المجال ولأن

البيانات ليست "جاهزة" للالتقاط قبل قيام الباحث بتفسيرها وفق منهجية محددة، أنظر: Mason, J. (1996), Qualitative

Researching, p. 35-36، وانظر أبو علام، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٨-٣٣٩؛ حجر، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٥.

أثناء عملية البحث ، بما يتطلبه من الجهد التراكمي والحرص الشديد على استكناه جوانب الظاهرة من خلال المقابلة الكيفية التي يشبهها البعض كما لو كانت "محادثة مع غاية محددة"^{٩٦} ؛ ومؤدى هذا أن ذلك النوع من المقابلات يستلزم البحث عن إجابات لأسئلة متعددة لفهم الزوايا المختلفة لخبرات المتورطين في التكفير والعنف وما يصاحبها من اعتقادات وأفكار ومشاعر ونوايا سلوكية.

٢. **مخصوص العينة في البحث الكيفي:** يجب اختيار العينة بشكل عمدي أو مقصود ، والمعيار الأهم هو درجة الملاءمة للدراسة المراد تنفيذها ، بحيث يتم جمع بيانات تتسم بالكثافة والعمق، والصحيح أنه ليس هناك عدد محدد للمقابلات (أو الملاحظات)، ويمكن أن يستند الباحث إلى قاعدة الاستمرار حتى الإشباع ، وهو يشير إلى المرحلة التي يرى الباحث أنه ليس هناك إضافات جوهرية. وهناك عدة أنواع للعينات يمكن الاختيار من بينها بحسب الأهداف التفصيلية للدراسة، ويمكننا استعراض أهم أنواع العينات الكيفية بالتطبيق على الدراسة المقترحة:

أ- عينة الحالات المتطرفة: تكون تلك العينة ملائمة إذا كان الباحث يرغب في التركيز على المبحوثين الأكثر تشدداً وتطرفاً ، فمثلاً قد يكون الهدف دراسة سمات نمط التكفير الناقل، مما يبرر هذا الاستخدام.
ب- العينة المركزة: ويمكن استخدام ذلك النوع إذا كان الباحث يستهدف التعرف على أسباب التغير في تلك الخبرات ، هنا يتم التركيز على المبحوثين ذوي الخبرات الطويلة في مسائل التكفير والتفجير.
ج- عينة التنوع الأقصى: هذه العينة مناسبة حين يكون هدف الباحث التعرف على الخبرات المتنوعة للمتورطين في التكفير والتفجير باختلاف العمر والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية على سبيل المثال، حيث يتم اختيار مبحوثين متنوعين.

د- عينة الحالات الحرجة: وتكون هذه العينة مفيدة في حالة رغبة الباحث في التعرف على الخبرات من ذوي القدرة على التوضيح التفصيلي للخبرات المتعلقة بالتكفير والعنف.

٣. **مخصوص إجراء المقابلة:** يتوجب التأكيد على أن المقابلة في البحث الكيفي تتسم بأنها معمقة ، وهي غير مهيكلة أو شبه مهيكلة (مفتوحة أو شبه مفتوحة) ، كما أنها تتطلب قدراً جيداً من المهارة في تصميم الأسئلة وطرحها وتوليد أسئلة ملائمة من وحي إجابات المبحوثين على نحو يشجعهم على إعطاء معلومات وخبرات وقصص وتفاصيل ذات ثراء وأهمية لموضوع البحث، وكلما كان الموضوع جديداً أو غير مستكشف من قبل كان الاحتياج إلى المقابلات غير المهيكلة أكبر عن طريق تحديد محاور عامة يتم تغطيتها بشكل مناسب أثناء المقابلة، مع توخي الحرص على تدوين الإجابات بطريقة لا توحى للمبحوثين بأي مخاوف أو تأثير لديهم أي حساسية. وقد يتم اللجوء إلى "المقابلة الفردية" أو "المقابلة الجماعية" أو ما يسمى بـ "مجموعات التركيز"^{٩٧} وذلك بحسب نوعية الموضوع وفئات المبحوثين، ولكل نوع خطوات منهجية

محددة في تصميمها وتنفيذها. فمثلاً يمكن تنفيذ مقابلات فردية مع عدد من المبحوثين المتورطين في التكفير والتفجير ، وفي حالة وجود خلاف في الرأي حول مسألة هامة ، يقوم الباحث بتنفيذ مقابلة جماعية لتبين تلك المسألة، أو قد يقوم الباحث بدءاً بمقابلة جماعية في حالة وجود غموض شديد وعدم تبلور أسئلة محددة تمكنه من تنفيذ مقابلة فردية. ويمكن أن تتضمن المقابلة ثلاثة محاور أساسية هي: التاريخ الشخصي للمبحوث (طرح أسئلة وصفية على المبحوث)؛ الخبرة الشخصية (طرح أسئلة عن تفاصيل الخبرة) ؛ التأمل وإعطاء المعنى للخبرة (طرح أسئلة للتعرف على آراء المبحوثين عن معاني خبراتهم وليس درجة رضاهم عنها)، ويجب أن تُرتب تلك المحاور وفق ظروف المقابلة وحيثياتها، والتي قد تقضي بعقد مقابلة لكل محور⁹⁸. وبالتطبيق على المثال المقترح يمكن لنا تدوين بعض الأمثلة التطبيقية المختصرة على محاور المقابلة:

- **التاريخ الشخصي:** أخبرني عن مراحل دراستك...؟ وكيف كانت أوضاعك النفسية والفكرية حينها؟ وماذا عن البيت ومعاملة الوالدين؟ إذن ما الذي جعلك تتعرف على تلك الفئة من الشباب...؟ ومتى انخرطت فعلاً مع تلك الجماعة...؟ وكم كان عمرك حينذاك؟

- **الخبرة الشخصية:** ما مشاعرك حين ترى أو تسمع شيئاً يحتوي على أمر تعتقد بأنه كفر؟ وما هو الشعور الذي يملكك قبيل عملية إطلاق حكم التكفير على شخص معين أو جماعة معينة؟ أخبرني بماذا تحس؟ هل تشعر بانقباض في الصدر أو صدام أو شيء من هذا...؟ وماذا عن مشاعرك بعد إطلاق حكم التكفير؟ صف لي تلك المشاعر؟ ما هي الخواطر أو الأفكار التي تسيطر عليك قبل عملية التفجير؟ ماذا عن الأحلام أو الرؤى؟ هل ترسم مشاهد يقظة معينة في ذهنك؟ صفها لي؟

- **التأمل وإعطاء المعنى للخبرة:** صف لي مشاعرك حين تطلق حكم التكفير؟ ماذا كان يعني لك ذلك الحكم في تلك الأيام؟ وماذا عن مشاعرك الآن؟ صف لي مشاعرك حين سمعت خبر اختيارك لتنفيذ عملية معينة؟ ماذا كان يعني لك ذلك؟ هل تتغير أو تتقلب مشاعرك آنذاك؟ ترى لماذا؟ وماذا عن زملائك؟ هل لك أن تصف لي مشاعرك في اللحظة الفاصلة قبيل عملية التنفيذ؟ كيف يمكنك أن تصف تأثير قائد المجموعة...؟ ما هي العوامل التي تعتقد بأنها هي مصدر التأثير أو الجاذبية لديه؟

الجزء الثاني: أداة القياس الكمي

تعتبر الاتجاهات متغيرات فرضية أو خفية أي أنها لا تلاحظ بشكل مباشر، ويمكن قياس الاتجاهات بعدة طرق ومنها تقويم استجابات المبحوثين في ضوء مجموعة من المواقف⁹⁹، وقد يكون ذلك من خلال ما يسمى بـ "التقرير الذاتي"¹⁰⁰، الذي يقوم على استنتاج مكونات الاتجاهات للمبحوثين من خلال إجاباتهم المباشرة لهم،

98 عبد الله البريدي وآخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٠-٧٩

99 انظر مثلاً: الحارثي ، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩؛ علاّم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٢٩-٥٣١.

100 ما يعرف بـ Self-Reports، ويتطلب التقرير الذاتي توفير مقومات الدقة في الإجابات من حيث الصياغة وجمع البيانات.

وهو ما تم استخدامه في الاستبيان المبدئي الذي تم إعداده في هذه الدراسة. وبخصوص أدوات القياس الكمي؛ ثمة مسألة لا بد من تأكيدها وهي أن عملية بناء تلك الأدوات تحتاج إلى جهود تراكمية كبيرة وتتطلب وقتاً طويلاً في عملية المراجعة والتطوير والاختبار لأجزاء الاستبيان وعوامله وبنوده، ونحن نشهد في الأدبيات الغربية أن بعض الباحثين الغربيين قد استغرق فترة تزيد على عقد أو عقدين من أجل بناء وتطوير مثل تلك الأدوات التي تحظى بالصدق/الصحة والثبات^{١١}، في حين تغيب مثل تلك الجهود التراكمية في المشهد البحثي العربي، ونحن نعتقد بأن ظاهرة خطيرة ومعقدة كالتكفير تستحق بذل جهود تراكمية كافية، تمكّننا من الظفر بأدوات قياس دقيقة، تعيننا على فهم الظاهرة وتشخيصها للفئات المختلفة كفئات الطلاب في مراحل التعليم والفئات الموقوفة أمنياً وغيرها من الفئات، وقد تم إعداد الاستبيان وفق الخطوات المنهجية التالية:

١. تحديد الأبعاد الأساسية (عوامل الدراسة) التي يمكن من خلالها تحديد أنماط التكفير وقياس الاتجاهات نحو التكفير وفق النموذج المقترح في الدراسة، بعد الأخذ في الاعتبار نتائج تحليل الأدبيات العلمية والمقابلات والنقاشات التي أوامنا إليها في جزء سابق.

٢. تم مراعاة النموذج الثلاثي للاتجاهات، وذلك بتضمين بنود تصلح لقياس المكونات الثلاثة: المعرفية والوجدانية والتزوعية، وهذا يعني أن الاستبيان - بعد عملية تطويره - يمكن أن يقيس تلك المكونات من خلال وضع بنود ملائمة لكل مكون على نحو دقيق.

٣. إعداد مسودة للاستبيان مكونة من ٢٢ موقفاً متبوعاً بأربع استجابات؛ كل استجابة تمثل نمطاً من أنماط التكفير الأربعة: الحالة السوية - التكفير الخامل - التكفير الفاعل - التكفير الناقل، وقد خضعت تلك المسودة لعملية المراجعة وإعادة الصياغة للمواقف والبنود، وقد راعى الباحث أن يضع عدداً كبيراً نسبياً من المواقف المتنوعة ليترك المجال أمام المحكمين ليدلوا بآرائهم حول أكثر المواقف ملائمة.

٤. تحديد الأبعاد الأساسية للبيانات الديموغرافية (العوامل الشخصية) من أجل التعرف على درجة الارتباط والتأثير لتلك العوامل، وقد أفاد الباحث من نتائج بعض الدراسات السابقة التي أشارت إلى بعض العوامل وهي: العمر والعمل والوضع التعليمي والاقتصادي والاجتماعي والديني، كما وضع الباحث عوامل أخرى تمثلت في معدلات استخدام الإنترنت والقراءة، وقد تم التأكد من ملاءمتها من خلال تحليل المقابلات مع الفئات المحسوبة على التكفير والغلو والعنف.

٥. تحكيم الاستبيان من قبل خمسة من الأكاديميين، متخصص واحد في كل من: العلوم الشرعية، علم النفس، علم اجتماع، تربية، لغة عربية، كما تم عرض الاستبيان على اثنين من المختصين في الفكر الإسلامي، وقد وضع المحكمون والمختصون بعض الملاحظات على بعض البنود وتم الأخذ بها بعد سلسلة من النقاشات

101 انظر مثلاً: أداة القياس التي وضعها وطوّرها "مايكل كيرتون" في بريطانيا لأنماط التفكير الإبداعي (Kirton, M. (1989), Adaptors and Innovators ، وانظر أيضاً أداة القياس التي وضعها وطوّرها "ند هيرمان" في أمريكا لقياس أنماط التفكير، Herrmann, N. (1990), The Creative Brain

المنهجية، ومن ذلك أنه تم استبعاد سبعة مواقف، إما لعدم ملاءمتها لتحديد أنماط التكفير وقياس الاتجاهات نحو التكفير أو عدم دقتها مع صعوبة إعادة صياغتها، كما تم إعادة صياغة بعض الاستجابات لتكون أكثر دقة من الناحية العلمية وأكثر ملاءمة من الناحية اللغوية، مع توخي الحرص على أن تكون الصياغة مناسبة للشريحة المستهدفة. وقد تم الخلوص إلى وضع أربعة عوامل للدراسة يندرج تحتها ١٥ بنداً تفصيلياً، ويظهر الجدول رقم (٣) تلك العوامل التي يتكون منها الاستبيان مع الإشارة إلى بعض الدراسات، في حين يوضح الجدول رقم (٤) البنود التفصيلية التي تتكون منها تلك العوامل:

جدول (٣) العوامل الواردة في الاستبيان مع الإشارة إلى بعض الدراسات

م	عوامل الدراسة	الفقرات	بعض الدراسات في الأدبيات العلمية
١	التشدد الديني والميل نحو العنف	٤	اللوحيق (١٤٢٠)، السليمان (١٤٢٦)، العقل (١٤١٩)، المالكي (١٤٢٧)، السامرائي (١٤٢٨)
٢	الاتجاهات نحو التكفير	٤	اللوحيق (١٤٢٠)، السليمان (١٤٢٦)، السامرائي (١٤٢٨)
٣	توصيف بعض الأوضاع النفسية والاجتماعية	٤	اللوحيق (١٤٢٠)، Allport, W. (1954)، Bagley, C., et. al. (1979)، Loza, W. (2007)
٤	الرغبات والقدرات الحوارية	٣	ليس هناك دراسات بخصوص هذا العامل، وقد تم إدراجه باعتبار أن النموذج المقترح يتضمن أنماط التكفير، والتي من بينها "التكفير الناقل"، ومن الناحية المنطقية فإن النموذج يقترح علينا نتيجة مبدئية وهي أن الأشخاص المتورطين بذلك النمط يتمتعون بسمات عالية في مجال الحوار.

جدول (٤) البنود التفصيلية التي تتكون منها عوامل الدراسة بحسب ورودها في الاستبيان

م	البنود التي تتكون منها العوامل	العامل	م	البنود التي تتكون منها العوامل	العامل
١	الاتجاهات نحو المنكرات	التشدد	٩	الاختلاط مع الناس	توصيف

بعض الأوضاع النفسية والاجتماعية	الحدة في الأحكام	١٠	الديني	٢	الاتجاهات نحو الحوار مع أهل الأديان
	التوافق مع المجتمع	١١	والميل نحو	٣	الاتجاهات نحو العنف (الإرهاب)
	التوافق مع النفس	١٢	العنف	٤	الاتجاهات نحو التعامل مع الآخر غير المسلم
الرغبات والقدرات الحوارية	القدرة على طرح الأفكار والإقناع	١٣	الاتجاهات نحو التكفير	٥	الاتجاهات نحو التكفير المعين (بشكل عام)
	الرغبة على خوض النقاش المطول	١٤		٦	الاتجاهات نحو التكفير المعين (نحو الفرق الإسلامية)
	القدرة على خوض النقاش المطول	١٥		٧	الاتجاهات نحو التكفير في الوقت المعاصر
				٨	الاتجاهات نحو البدع

٦. بعد وضع الاستبيان في صورة نهائية لأغراض اختباريه، تم توزيعه على بعض المبحوثين باستخدام أسلوب العينة "الميسرة" في دراسة استطلاعية (أي أن النتائج غير قابلة للتعميم)، وبلغ عدد الاستبيانات ٧٣، وبعد جمع البيانات وإدخالها تم التأكد من دقة عمليات الإدخال ومن ثم معالجة البيانات إحصائياً.

المؤشرات الإحصائية المبدئية

الهدف الرئيس من إجراء الدراسة الاستطلاعية ليس الحصول على نتائج نهائية بخصوص النموذج المقترح في الدراسة، وإنما اختبار الاستبيان والتحقق من ثباته وصدقه/صحته ومدى إمكانية تطويره ليصبح ضمن أدوات القياس الكمي لظاهرة التكفير وفق النموذج المقترح في الدراسة. ولذلك فقد فضلنا استخدام كلمة "مؤشرات" في العنوان بدلاً من كلمة "نتائج"، وأكدنا على ذلك بكلمة "مبدئية"، مما يجعلنا نشدد على أننا لا نعرض نتائج بل مؤشرات مبدئية، كما أن عرض تلك المؤشرات سيكون مفيداً للدراسات المستقبلية، إذ أنه يتيح إمكانية المقارنة والخلوص إلى نتائج معينة، كما أن ذلك يعيننا على تحسين وتيسير عملية تفسير النتائج الإحصائية.

للتحقق من الثبات في الاستبيان فقد تم استخدام معامل "ألفا كرونباخ"، وقد بلغ معدل الثبات الداخلي حوالي ٠,٧٤ وهو معدل جيد يبعث على الاطمئنان. أما الصدق/الصحة فقد تم التحقق من "صدق المحتوى" من خلال عرض الاستبيان على مجموعة من المحكمين. ويمكن إجمال أهم خصائص العينة كما يلي: بلغت نسبة الذكور ٧٩% أما الإناث فتبلغ ٢١%، وبخصوص المؤهل فالأكثريّة ممن يحملون مؤهل ثانوي بنسبة ٤١% يليهم الجامعيون بنسبة ٣٥%، وبشأن الوضع الاقتصادي فقد وصلت النسبة لمن هم في المتوسط أو ما دون المتوسط حوالي ٨٥%، أما الوضع الاجتماعي فقد بلغ نسبة المتزوجين ٦٠% والعزاب ٤٠%، أما معدلات

القراءة فقد أوضح التحليل أن ما يتجاوز ٨٠% من العينة قراءتهم تتراوح ما بين متوسط إلى ضعيف ، أما استخدام الإنترنت فقد بلغت النسبة ٦٠% لمن معدلهم متوسطة أو ضعيفة و ٢٣% من العينة لا يستخدمون الإنترنت إطلاقاً. وفيما يلي نثبت أهم المؤشرات الإحصائية الخاصة بالعوامل والبنود الواردة في الاستبيان.

جدول (٥) المتوسط والانحراف المعياري والمنوال لعوامل الدراسة

م	عوامل الدراسة	المتوسط	الانحراف المعياري	المنوال	المؤشرات الإحصائية
١	التشدد الديني والميل نحو العنف	٦,٥	٢,٢	٤	نسبة الحالة السوية: ٥٩%
٢	الاتجاهات نحو التكفير	٥,٩	١,٨	٤	نسبة الحالة السوية: ٨٢%
٣	توصيف بعض الأوضاع النفسية والاجتماعية	٨,٥	١,٦	٨	الإجابة الأكثر شيوعاً : الثانية
٤	الرغبات والقدرات الحوارية	٧,٢	١,٨	٦	الإجابة الأكثر شيوعاً : الثانية

أظهرت التحليلات الإحصائية أن النسبة التي تشير إلى "الحالة السوية" بشأن "التشدد الديني والميل نحو العنف" و"الاتجاهات نحو التكفير" بلغت ٥٩% و ٨٢% على التوالي؛ وبسؤال العاملين الثالث والرابع فإنه لا يمكن تفسير المؤشرات الإحصائية من حيث مدى اقترابها أو بعدها عن الحالة السوية، وذلك لأننا نعاملها كما لو كانت عوامل شخصية أي أننا نروم استكشافها على ما هي عليه، وقد أوضحت المؤشرات الإحصائية بأن الإجابات الأكثر شيوعاً هي الإجابة الثانية والتي تعكس ثاني أكبر قيمة في المقياس الرباعي الذي تم استخدامه، أما بخصوص البنود فخمسة من البنود الثمانية الأولى (البنود ١، ٤، ٥، ٧، ٨، وفقاً للجدول رقم ٤) فقد تراوحت النسبة التي تشير إلى الحالة السوية بين ٥٥% إلى ٩٦%، أما البنود ٢، ٣، ٦، فقد تضمنت نسبة كبيرة للابتعاد عن الحالة السوية، حيث بلغت النسبة لكل من "الحوار مع أهل الأديان" و"الاتجاهات نحو العنف" و "الاتجاهات نحو التكفير المعين - نحو الفرق الإسلامية" حيث بلغت النسبة التي تعبر عن الحالة السوية ٤٨% و ٤٥% و ٣٩% على التوالي. ويعني ذلك وجود تشدد ديني وضعف الوعي الثقافي تجاه تلك المسائل. أما البنود من ٩-١٥ (الخاصة بالعاملين الثالث والرابع) فقد أشار التحليل إلى أن الإجابة الأكثر انتشاراً بالنسبة

للبنود رقم ٩ "الاختلاط بالناس" هي الإجابة الأولى، أما للبنود ١٠، ١٢، ١٣ فقد كانت الإجابة الثانية، فبخصوص بند "الحدة في الأحكام" كانت تلك الإجابة "حادة"، أما "التوافق مع النفس" فقد كانت الإجابة هي "توافق كبير" وأما "القدرة على طرح الأفكار والإقناع" فقد كانت الإجابة "قوية"، أما البنود ١١، ١٤، ١٥ فقد كانت الإجابة الأكثر انتشاراً "الإجابة الثالثة" والتي تعكس قيمة أقل من الإجابة الثانية.

كما تم احتساب معامل الارتباط بين العوامل الأربعة في الاستبيان، وعلى الرغم من صغر حجم العينة أوضح التحليل وجود علاقة بين العامل الأول (التشدد الديني والميل نحو العنف) والعامل الثاني (الاتجاهات نحو التكفير) حيث بلغ معامل الارتباط ٠,٤٦ (مستوى المعنوية ٠,٠١)، مما يشير إلى أن التشدد الديني من العوامل المؤثرة في التكفير ويتوافق هذا المؤشر مع الكثير من الدراسات (كدراسة اللويحق والسليمان والمالكي)، كما أن هناك علاقة بين العاملين الثالث والرابع حيث بلغ معامل الارتباط ٠,٣٨ (مستوى المعنوية ٠,٠١). ولمعرفة ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة طبقاً للعوامل الشخصية، فقد تم استخدام تحليل "كروسكال واليس"، وقد أظهر التحليل عدم وجود أي فروق طبقاً لتلك العوامل فيما عدا العامل الاقتصادي بالنسبة لـ (الاتجاهات نحو التكفير)، فمتوسط الرتب للأوضاع الاقتصادية كما يلي: الضعيف (٥٦,٦٧)، الأقل من المتوسط (٤٧,٢٠)، المتوسط (٣١,٨٨)، الممتاز (٢٩,١١)، أي أنه كلما ضعف الوضع الاقتصادي فإنه قد يؤدي إلى التكفير والعنف، ويتفق هذا المؤشر مع بعض الدراسات السابقة (كدراسة رشوان؛ وبوداي).

ومن المؤشرات الإحصائية المبدئية للاستبيان التي عرضناها باختصار، نخلص إلى نتيجتين هامتين:

١. أن تلك المؤشرات بشكل عام جاءت في الاتجاه المتوقع أي أنها تتفق مع العديد من الدراسات السابقة، مع تأكيدنا على أهمية إيجاد نسخ متنوعة من الاستبيان تناسب مختلف الشرائح المستهدفة.
٢. تمنحنا المؤشرات السابقة درجة مقبولة من الاطمئنان لتطوير الاستبيان بما يعيننا على قياس الاتجاهات نحو التكفير وتحديد أنماط التكفير وفق النموذج المقترح في الدراسة، مع ضرورة بذل جهود كافية لعملية التطوير والتحقق من الثبات والصدق للاستبيان، مع تأكيدنا على التحقق من الطرق المختلفة للصدق، ومنها "الصدق التمايزي" Discriminant Validity، ويمكن ذلك بتوزيع الاستبيان على عينة من المتورطين بالفكر التكفيري وعينة أخرى من الأفراد الأسوياء من أجل التحقق من قدرة الاستبيان على التمييز. كما أننا نوصي بأهمية التحقق من "الثبات الخارجي" من خلال تطبيق أسلوب "الاختبار - إعادة الاختبار" ١٠٢.

توصيات الدراسة

في ختام الدراسة يمكن لنا أن نورد عدداً من التوصيات الهامة والتي يمكن تصنيفها إلى:

أولاً: توصيات للمؤسسات البحثية

102 للتوسع حول مسألة الثبات والصدق، انظر مثلاً: علاّم، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠-٢٣٢؛ أبو علاّم، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٩ -

٤٧٧؛ Sarantakos, Op. Cit, p. 78-86؛ De Vaus (1996), Scurvies in social research, p. 54-58

يمكن بلورة العديد من التوصيات لتلك المؤسسات - ومن ضمنها كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري - ، ولعل من أهم تلك التوصيات ما يلي:

١. أن تتبنى المؤسسات البحثية دعم تنفيذ دراسات علمية تقوم على منهج التخصصات المتداخلة لدراسة ظاهرة التكفير وما يرتبط بها من العوامل والظواهر، لاسيما فيما بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية.
٢. دعم المؤسسات البحثية لتصميم وتنفيذ برامج تدريبية للمتخصصين في العلوم الشرعية من الأكاديميين وطالبي الدراسات العليا في مناهج البحث العلمي لاسيما في البحث الكيفي.
٣. توجيه جهود بحثية من أجل تطوير واختبار النموذج التشخيصي المقترح في هذه الدراسة.
٤. دعم أبحاث لبناء وتطوير أدوات للقياس الكمي في ضوء النموذج المقترح، مع أهمية بذل العناية الكافية لتطوير أدوات تتلاءم مع الشرائح المختلفة، بما في ذلك شريحة الطلاب في التعليم العام كنوع من التشخيص المبكر والعمل الوقائي.
٥. تنظيم ندوات ومؤتمرات وإصدار مجلات علمية متخصصة في الأبحاث الكيفية لدراسة ظاهرة التكفير والظواهر المرتبطة بها، وذلك من أجل تدعيم الممارسة البحثية الكيفية.

ثانياً: توصيات للدراسات المستقبلية

- التوصيات التي يمكن وضعها للدراسات المستقبلية كثيرة ومتنوعة ولعل من أهمها:
١. إعداد وتنفيذ دراسات نظرية ومفاهيمية تستهدف وضع نماذج تفسيرية لظاهرة التكفير وما يرتبط بها من العوامل والظواهر الأخرى.
 ٢. تنفيذ دراسات كيفية تستهدف فهم خبرات المتورطين في الفكر التكفيري وتحديد العوامل التي تؤدي إلى ترجمة ذلك الفكر المنحرف إلى أعمال عنف بمختلف أشكاله.
 ٣. تنفيذ دراسات كيفية لاستكشاف أبعاد "القابلية للانصياع" وتحديد العوامل والسمات المرتبطة بها.
 ٤. تنفيذ دراسات كيفية لفهم ظاهرة التكفير في سياقاتها الثقافية وربطها مع أنماط التفكير والشخصية.
 ٥. إعداد أبحاث متخصصة لتحليل ونقد واستعراض الدراسات العربية والأجنبية في مجال دراسة ظواهر التكفير والتعصب والعلو والعدوان والعنف ونحوها.
 ٦. تنفيذ دراسات كمية تستهدف تحديد العلاقة بين حالات التكفير وأنماطه ومراحلها بالموضوعات التالية: أنماط التفكير - السمات الشخصية - أنماط الشخصية - مركز التحكم (الضبط الداخلي والضبط الخارجي) - عوامل وسمات الصحة النفسية - أنماط التعامل الوالدي.
 ٧. تنفيذ دراسات لدمج التنقيف الأمني في المناهج الدراسية في ضوء خطة وطنية متكاملة للأمن الفكري.

المراجع:

١. إبراهيم، ماجد مورييس (٢٠٠٥)، الإرهاب .. الظاهرة وأبعادها النفسية، ط ١، بيروت: الفارابي.

٢. ابن الوزير، اليماني (١٤١٢هـ)، العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام (١٣٩٨هـ)، مجموع الفتاوى، جمه عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط ١.
٤. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام (١٣٩٩هـ)، درء تعارض العقل مع النقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٥. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام (١٤٠٥هـ)، الرد على البكري (تلخيص كتاب الاستقامة)، الدار العلمية للطباعة والنشر.
٦. أبو علاّم، رجاء محمود (١٤٢٢هـ)، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط ٣، القاهرة: دار النشر للجامعات.
٧. أبو مغلي، سميح وسلامة، عبدالحافظ (٢٠٠٢)، علم النفس الاجتماعي، عمّان: دار اليازوري.
٨. أرحومة، موسى (٢٠٠٨)، الإرهاب والانترنت؛ المؤتمر الدولي للإرهاب في العصر الرقمي، الأردن: جامعة الحسين بن طلال.
٩. بدر، أحمد (١٩٩٦)، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط ٩، القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
١٠. بدوي، زكي (١٩٨٢)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط ٢، بيروت: مكتبة لبنان.
١١. براون، شيليا (٢٠٠٦)، الجريمة والقانون في ثقافة الإعلام، ترجمة هدى فؤاد، ضمن مطبوعات الجامعة المفتوحة، ط ١، القاهرة: مجموعة النيل العربية.
١٢. البريدي، عبدالله (١٤٢٩هـ)، الإطار المفاهيمي والمؤسسي للتأهيل المعتمد في مجال الإبداع والموهبة: مشروع مقترح للعالم العربي، مجلة العلوم الإدارية والاقتصادية، جامعة القصيم، مج ١، ع ١.
١٣. البريدي، عبدالله (٢٠٠٧)، الإستراتيجية العربية في مؤسسات التعليم العالي: مدخل وصفي تحليلي لدراسة الإشكالية الثقافية، المجلة العربية للإدارة، مج ٢٧، العدد ٢.
١٤. البريدي، عبدالله، والجابري، نيف، والعقلا، علي (١٤٢٩هـ)، المادة العلمية للبرنامج التدريبي للبحث النوعي، السعودية: وزارة التعليم العالي، برنامج الإبداع والتميز.
١٥. بن بيه، عبدالله (١٤٢٨هـ)، الإرهاب - التشخيص والحلول، ط ١، الرياض: مكتبة العبيكان.
١٦. بوادي، حسنين المحمدي (٢٠٠٦)، تجربة مواجهة الإرهاب، ط ١، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.
١٧. الترتوري، محمد وجويان، أغادير (١٤٢٦هـ)، علم الإرهاب - الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب، ط ١، عمّان: دار الحامد للنشر والتوزيع.

١٨. التركي، عبدالله بن عبدالحسن (١٤٢٣هـ)، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، ط ١، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي.
١٩. الحارثي، زايد (١٤٢١هـ) بناء الاستفتاءات وقياس الاتجاهات، جدة: دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف.
٢٠. حجر، خالد أحمد (١٤٢٤هـ)، معايير شروط الموضوعية والصدق والثبات: دراسة نظرية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مج ١٥، ع ٢، ص ١٣١-١٥٤.
٢١. حسن، الحارث و دايني، غسان (١٤٢٦هـ)، علم النفس الأمني، بيروت: الدار العربية للعلوم.
٢٢. حمد، محمد أبو القاسم حاج (١٤٢٤هـ) منهجية القرآن المعرفية - أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، بيروت: دار الهادي.
٢٣. الحيدر، حيدر (١٤٢٣هـ)، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، رسالة دكتوراه مقدمة لأكاديمية الشرطة، جمهورية مصر العربية.
٢٤. الخطيب، عبدالله (١٤٢٤هـ)، الجمع بين قراءتي الوحي والكون للخروج بالعلوم الإنسانية والاجتماعية من مأزق المنهجية الغربية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مج ٤، ع ١.
٢٥. الخليفة، عمر هارون (٢٠٠٨) آفاق توطين علم النفس في العالم العربي، ط ١، الخرطوم: هيئة الأعمال الفكرية.
٢٦. حوالدة، محمود (٢٠٠٥)، علم نفس الإرهاب، ط ١، عمان: دار الشروق.
٢٧. دكت، جون (١٤٢٠هـ) علم النفس الاجتماعي والتعصب، ترجمة: عبد الحميد صفوت، ط ١، القاهرة: دار الفكر العربي.
٢٨. رشوان، حسين (٢٠٠٢)، التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
٢٩. زاهر، ضياء الدين (١٩٩٥)، تقويم أداء الأستاذ الجامعي: الأداء البحثي كنموذج، مستقبل التربية العربية، م ١ (٣)، ص ٣٩-٦٨.
٣٠. الزبيدي، عبدالرحمن (١٤٢٢هـ) حقيقة الفكر الإسلامي، ط ٢، الرياض: دار المسلم.
٣١. زيتون، كمال عبد الحميد (١٤٢٤هـ)، منهجية البحث التربوي من المنظور الكمي والكيفي، ط ١، القاهرة: عالم الكتب.

٣٢. زيتون، كمال عبدالحميد (١٤٢٦هـ)، تصميم البحوث الكيفية - ومعالجة بياناتها إلكترونياً، ط١، القاهرة: عالم الكتب.
٣٣. السامرائي، نعمان (١٤٢٨هـ)، التكفير في القرآن السنة - قديماً وحديثاً، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
٣٤. ستراوس، أنسلم وكورين، جوليت (١٤١٩هـ)، أساسيات البحث الكيفي - أساليب وإجراءات النظرية المجذرة، ترجمة: عبدالله الخليفة، الرياض: معهد الإدارة العامة.
٣٥. السليمان، عبدالسلام (١٤٢٦هـ)، صلة الغلو في التكفير بالجريمة، ط١، بدون ناشر.
٣٦. سليمان، خالد، (٢٠٠٣)، المناهج النوعية والكمية: قراءة أولية في المنطلقات المعرفية، إسلامية المعرفة، س ٩، ع ٣٣-٣٤، ص ١٨١-٢٢٢.
٣٧. السند، عبدالرحمن (١٤٢٥هـ)، وسائل الإرهاب الإلكتروني - حكمها في الإسلام وطرق مكافحتها، المؤتمر العالمي عم موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٣٨. الشرقاوي، أنور (١٩٩٩)، الابتكار وتطبيقاته، الجزء الثاني، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
٣٩. الصبيحي، علي والوزان، عبدالرحمن (٢٠٠٤)، جماعات الاهتمام المشترك باعتبارها طريقة لجمع بيانات البحوث التطبيقية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مجلة العلوم الاجتماعية، مج ٣٢، ع ١، ص ١٠٣-١٣٢.
٤٠. الطلاع، رضوان (١٤٢٠هـ)، نحو أمن فكري إسلامي، ط٢، الرياض: مطابع العصر.
٤١. عبدالحلي، رمزي أحمد (٢٠٠٨)، التربية وظاهرة الإرهاب، ط١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
٤٢. عبداللطيف، عبدالعزيز (١٤١٥هـ)، نواقض الإيمان القولية والعملية، ط٢، الرياض: دار الوطن.
٤٣. عبيدات، ذوقان وأبو السميد سهيلة (١٤٢٣هـ)، البحث العلمي - البحث النوعي والبحث الكمي، عمان: دار الفكر.
٤٤. العقل، ناصر (١٤١٩هـ)، الخوارج - أول الفرق في تاريخ الإسلام، ط١، الرياض: دار أشبيليا.
٤٥. علام، صلاح الدين (١٤٢٠هـ)، القياس والتقويم التربوي والنفسي، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي.
٤٦. العلواني، طه جابر (١٢٤٥هـ)، نحو منهجية معرفية قرآنية، محاولات في بيان قواعد المنهج التوحدي للمعرفة، بيروت: دار المهادي.
٤٧. عيد، محمد فتحي (١٤٢٠هـ)، واقع الإرهاب في الوطن العربي، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
٤٨. الغزالي، أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٩. قنديلجي، عامر (١٤٢٨هـ)، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، ط ١، عمّان: دار المسيرة.
٥٠. اللويحق، عبدالرحمن (١٤٢٠هـ)، مشكلة الغلو في الدين، ثلاثة أجزاء، ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٥١. المالكي، عبدالحفيظ (١٤٢٧هـ)، نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة نايف للدراسات الأمنية، المملكة العربية السعودية.
٥٢. المسيري، عبد الوهاب (١٤٢٧هـ)، اللغة والمجاز، ط ١، القاهرة: دار الشروق.
٥٣. المشعي، عبدالمجيد (١٤١٨هـ)، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، ط ١، ج ١، الرياض: أضواء السلف للنشر والتوزيع.
٥٤. المطرودي، عبدالرحمن (١٤٢٥هـ)، نظرة في مفهوم الإرهاب - والموقف منه في الإسلام، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، دراسات معاصرة، ١٧.
٥٥. مكلفين، بروت، وغروس، رتشارد (٢٠٠٢)، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، ترجمة: ياسمين حداد، موفق الحمداي وفارس حلمي، ط ١، عمّان: دار وائل للنشر.
٥٦. موسى، رشاد (١٤١٩هـ)، علم نفس الدعوة بين النظرية والتطبيق، الإسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع.
٥٧. الهيثمي، علي بن أبي بكر (١٤٠٢هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي.
58. Adorno, T., Frenkel-Brunswick, E., Levinson, D., and Sanford, R. (1950), **The authoritarian personality**, NY" Harper.
59. Allport, W. (1954), **The nature of prejudice**, 25th ed., Reading: Addison Wesley.
60. Ashmore, R. (1970), **The problem of intergroup prejudice**, In B. E. Collins 9Ed.), Social Psychology (pp. 245-296), Reading, Massachusetts: Addison-Wesley.
61. Babbie, E. (2001), **The Practice of social research**, CA: Thomson.
62. Bagley, C. , Verma, G., Mallick, K. and Young L. (1979), **Personality, self-esteem and prejudice**, Westmead, England: Saxon House.
63. Bryman, A. (1996) **Quantity and quality in social research**, London: Routledge.
64. Buss, H. (1961), **The psychology of aggression**, NY: Wiley.
65. Byrne, D. (1971), **The attraction paradigm**, NY: Academic.

66. Cicourel, A. (1982), **Interviews , surveys and the problem of ecological validity**, American Sociologist, vol. 17, p. 11-20.
67. Cowen, E., Landes, J. and Schaet, D. (1959), **The effects of mild frustration on the expression of prejudiced attitudes**, Journal of Abnormal and Social Psychology, vol. 58, p. 33-38.
68. De Vaus (1996), **Scurvies in social research**, 4th ed. , London: UCL Press.
69. Ehrlich, J. (1973), **The social psychology of prejudice**, NY: Wiley.
70. Feshbach, S. and Singer, R. (1957), **The effects of personal and shared threats on social prejudice**, Journal of Abnormal and Social Psychology, vol. 54, p. 411-416.
71. Gergen, J. and Gergen, M. (1981), **Social Psychology**, NY: Harcourt Brace Jovanvich.
72. Hakim, C. (1997), **Research Design, Contemporary Social Research**: 13, London: Routledge
73. Herrmann, N. (1990), **The Creative brain**, Lake Lure, North Carolina: Brain Books.
74. Hoffman, L. (1977), **Moral internalization: current theory and research**, In L. Berkowitz (Ed.), Advances in experimental social psychology, vol. 10 (pp. 86-135), NY: Academic.
75. Kenzevich, Stephen. (1975), **Administration of public education**, 2nd , NY: Harper and Row.
76. Kirton, M. (1989), **Adaptors and Innovators: Styles of Creativity and Problem-Solving.**, London: Routledge
77. Krone, Robert. (1980), **Systems analysis and policy science**, NY: John Wiley and Sons.
78. Likert, R. (1931), **A technique for the measurement of attitudes**, NY: Columbia University Press.
79. Loza, W. (2007), **The psychology of extremism and terrorism: A Middle-Eastern perspective**, Aggression and Violent Behavior, vol. 12, p. 141-155.
80. Mason, J. (1998), **Qualitative researching**, London: Sage.
81. McCabe, m. (2009), **The Information Confrontation with Radical Islam**, Published by Elsevier Limited on behalf of Foreign Policy Research Institute, Winter, p. 99-121.
82. Milgram, S. (1963), **Behavioral study of obedience**, Journal of Personality and Social Psychology, vol. 63, p. 371-378.

83. Newcomb, T. (1961), **The acquaintance process**, NY: Holt, Rinehart & Winston.
84. Pawson, R. (1989), **A Measure for Measures: A Manifesto for Empirical Sociology**, London: Routledge.
85. Peter (2001) (Ed.), **The Routledge critical dictionary of the new cosmology**, London: Routledge.
86. Punch, K. (1999) **Introduction to social research**, London: Sage.
87. Salzman, m. (2008), **Globalization, religious fundamentalism and the need for meaning**, International Journal of Intercultural Relations, vol. 32, p. 318-327.
88. Sarantakos, S. (1998), **Social Research**, London: MACMILLAN PRESS LTD.
89. Shiraev E. and Levy D. (2001), **Introduction to cross-cultural psychology: critical thinking and contemporary application**, MA: Allyn & Bacon.
90. Tashakkori, A. and Teddlie, C. (1998), **Mixed methodology**, Thousand Oaks, London: Sage Publications.
91. Thurstone, L. and Chave, E. (1929), **The measurement of attitudes**. Chicago: University of Chicago Press.
92. Triandis, H. (1996), **The psychological measurement of cultural syndromes**, American Psychologist, vol. 51 (4), , pp. 407-415.
93. Zimbardo and Leippe, (1991), **The psychology of attitude change and social influence**, NY: McGraw-Hill. .